المشرق

# اديرة مصر الاولى للقديس باخوميوس

للباحث المدقق الاب ميشال جوليان اليسوعي

لمّا استأثر الله في القرن الرابع بذلك الناسك الشهير القديس باخوميوس كان انطونيوس الكبير ابو الرهبان لم يزل في قيد الحياة فقال عنهُ لبعض تلامذته ممّن قدموا عليهِ ليفتقدوهُ في البرّية: « لمّا ألهمني الله الترهُّب لم يكن بعدُ اديرة يجتمع فيها الرهبان تحت قيادة رئيس يُعنى بامرهم بل كان العبّاد ينقطعون الى العيشة النسكيّة كل واحدٍ بمعزل عن غيرهِ حتى قام ابوكم باخوميوس وباشر هذا العمل الخطير بايدهِ تعالى (١ »

فهذا لعمري ثناء طيب على منشئ الاديرة الاولى في مصر. ولبيان فضل باخوميوس هاءنذا ألخّص تاريخ العيشة الرهبانية قبل زمانهِ

اعلم انّ التنسُّك ظهر في الكنيسة منذ اوائل عهدها. فانّنا نرى في التاريخ البيعي قومًا من افاضل الرجال والنساء يزهدون بالدنيا وينقطعون الى عبادته تعالى متجرّدين من كلّ مال العالم وملاذّهِ الباطلة وكان هؤلاء الزهّاد يعيشون في المدن او جوارها ويمارسون اعمال البرّ في الخلوة وقد عُرفوا لذلك بالمتروّضين (ascètes) لمزاولتهم عمل الصلاح

بيد انهم لم يلبثوا ان وجدوا في عيشتهم هذه عوائق تصدُّهم عن بلوغ الكمال فعمدوا الى العزلة في البراري والقفار كما فعل القديس بولا المصري في القرن الثالث للمسيح. وهكذا نشأ الحبساء (anachorètes) وانتشروا في البلاد

ولمّا كانت العزلة التامّة لا تخلو من الاخطار رأى الحبساء ان يقرّبوا محابسهم من

(١) راجع اعمال القديسين للبولنديين الجزء الثالث من أيار العدد ٢٧

محبسة احد المتقدّمين ممن يعرفونهُ راسخًا في الكمال محنّكًا في السياسة الروحيّة ليتفرَّغوا تحت قيادته الى اعمال النسك والتعبُّد. فكانوا يجتمعون عندهُ في اوقاتٍ معلومة ليصلُّوا معهُ ويسمعوا ارشاداته التقويَّة وربَّما كانوا يشيدون بقربه أبنارًا يودعونه مونتهم ولوازم معاشهم. لكنَّهم كانوا يقضون حياتهم في قلاليهم الخاصَّة كما يسنح لكلّ منهم خاطرهُ. وهذا الصنف من المتنسّكين شاع مدَّة من الزمن وكان يُعرف بفئات الجبناء وجماعات المعتزلين. وهكذا عاش القديس انطونيوس وتلامذتهُ في اول امرهم. وعلى هذا المنوال تعبَّد النساك الاوَّلون في بلاد فلسطين

امَّا القديس باخوميوس فنظَّم هذه المعيشة الرهبانيَّة وجعل قلاليَّ الرهبان ضمن سور يحدق بها ويصونها بحيث يعيش اصحابها عيشةً متساوية فيخضعون لقانون واحد يسهّل عليهم تتمَّة المشورات الانجيليَّة وينقادون الى اوامر رئيس واحد يتولى تدبيرهم. فتلك هي الاديرة (couvents) والديريون من يعيشون فيها عيشة اشتراكيَّة (vie céno-bitique). فمصر كانت اذًا اوَّل مهد لهذه الحياة الرهبانيَّة التي ازهرت حتى اذواها سموم الهرطقة اليعقوبيَّة الَّا انها لم تذبل في أرض الفراعنة مصر قبل ان امتدَّت فروع هذه الشجرة فبسقت ونمت في انحاء اخرى من المعمور لاسيَّما في بلاد الغرب بهمَّة القديس بناديكتوس. وانما الفضل في ذلك عائد الى القديس باخوميوس

امَّا الاديرة التي اقامها هذا القديس فهي تسعة اديرة للرجال وديران للنساء. وموقعها كلها في وادي النيل بين اخميم شمالًا وأسنة جنوبًا. ولمَّا كانت الآثار المسيحيَّة في مصر ممَّا يهمُّنا البحث عنهُ اردنا ان نفتش لعلَّنا نجد شيئًا من بقايا هذه الاديرة لتعريف خواصّها وطريقتها الهندسيَّة. وممَّا نعلم من امر بنائها انَّ باخوميوس اقامها في ظهراني القرى بين فلاحي مصر في السهول التي تطغو فوقها مياه النيل في وقت فيضانه. ولذلك قد عملت فيها يد الخراب في كرور الاعصار وبسطت مياه النيل طبقةً من طينها اللزج على جدرانها واطلالها.

وقد اتخذنا لابحاثنا عن هذه الاديرة ادلَّةً امينة ألا وهي تراجم القديس واعمالهُ التي كتبها المؤرخون وكذلك اخبار تلميذه تاودوروس (او تادروس) وسيرة شنودي وغيره من الرهبان الذين انتسوا بطريقة القديس باخوميوس وانتسبوا اليه

واعلم ان ترجمة حياة القديس باخوميوس على ثلاثة اصناف: (الاولى) هي الترجمة

اليونانية كُتبت بعد وفاة تادروس بزمن قليل سنة ٣٦٥ تجدها في اعمال البولنديين (ج ٣ من ايار ص ٢٩٢) وقد الّفها احد الرهبان الذي لم يعرف القديس لكنهُ جمع اخباره من فم تلامذته ومعاصريه. ومن اعمل فيها نظر الانتقاد وجد انها شاهد صدق ودليل ثبت يوثق به. (والثانية) هي الترجمة القبطيَّة كُتبت اولًا في اللغة القبطيَّة الصعيديَّة نقلًا عن الترجمة اليونانيَّة لافادة الرهبان الذين لم يفقهوا هذه اللغة. لكنَّ الكاتب وهو راهب من رهبانيَّة القديس باخوميوس اطلق العنان لمخيّلته فزاد على الاصل عدة تفاصيل غريبة وفقًا لما كان يعهدهُ في الاقباط من الرغبة في عجائب الامور. ثم نُقلت هذه السيرة الى اللغة القبطيَّة المنفيَّة (راجع المشرق ٣: ٨٩٤) لمنفعة رهبان اديرة نيتري ولا يُعرف منها الَّا نسخة واحدة جاء بها العلامة السماني من دير نيتري وهي مصونة في المكتبة الواتيكانيَّة. (والثالثة) هي السيرة العربية نُقلت اليها بعد الهجرة بزمن طويل في القرن الرابع عشر. وهي مأخوذة عن التراجم السابق ذكرها وعن بالّاديوس وغيره من الكتبة وليست ثقتنا بها كثقتنا بالتآليف الاولى (١

كانت ولادة باخوميوس سنة ٢٩٢ للمسيح في بعض مدن الصعيد وكان ابواهُ وثنيَّين. فلمَّا بلغ العشرين من عمرهِ اضطرَّهُ الولاة الى ان يستكتب في الجنديَّة فاركبوه مع الرديف فلمَّا نزل بهم الى مدينة اسنة. وكان هناك قومٌ من النصارى رأوهُ ورفقتهُ في هذه الحالة السيئة فحنّوا لشبابهم ورثوا لاوجاعهم وساعدوهم في حاجاتهم. فعمل في قلب باخوميوس مثل هؤلاء المحسنين وتعجَّب من حسن صنيعهم اليه مع انهم لم يعرفوهُ واستخبر عنهم فقيل لهُ انهم النصارى يطلبون بذلك وجه الله ممتثلين اوامر إلههم المسيح ابن الله الوحيد. فاحبَّ باخوميوس ان يدين بدين يعلّم اصحابهُ مثل هذه التعاليم السامية وان يقتدي بسيرتهم. ثمَّ ما مرَّ على الجند مدَّة حتى أُطلق سراحهم فعاد باخوميوس الى وطنه وتفقَّه في مبادئ الدين المسيحيّ واصطبغ بماء المعمودية

---

١) تولى المسيو اميلينو (Amélineau) طبع ترجمتَي القديس باخوميوس القبطية والعربية (Annales du Musée Guimet, T. XVII, *Paris* 1889). لكنَّنا لم نرَهُ منصفًا في ما استنتجهُ من النتائج الباطلة في حق هذا القديس. بخلاف الخوري لادوز (Ladeuze : Etude sur le cénobitisme pakhomien, *Fontemoing*, *Paris* 1898) الذي اصاب في حكمهِ عن اعمالهِ وبيَّن فضلهُ العظيم

## كينوبُسكيون او شِنسيت

واول بلدة نزل فيها باخوميوس كان اسمها كينوبسكيون وبالقبطية شِنسيت وهي تُعرف اليوم بقصر الصيَّاد على ضفَّة النيل الشماليَّة بازاء «تاج حمادي» واختياره هذا المكان للتنسُّك حمل بعض الكتبة الى القول انَّ مولده كان فيهِ. وليس الامر بثابت. واحتلَّ القديس في خربة كان الاهلون يدعونها هيكل سيرابيس وقضى فيها ثلاث سنوات ثم انتقل الى مسافة قريبة من القرية حيث وجد شيخاً جليلاً وناسكاً فاضلاً يدعى باليمون طالباً منهُ ان يرشده في طريق الزهد فنعل والبسهُ الاسكيم الرهباني

ولمَّا الهم الله الى القديس باخوميوس ان ينشئ الاديرة المنظَّمة واقام ديرَيه الأوَّلين في تابَنَّة وفاو تدم عليهِ من شِنسيت عابدٌ قديس اسمهُ إبونة كان رئيساً على جماعة من الرهبان الحبساء. فتوسَّل اليهِ ان يقبلهُ ورهبانهُ في طاعتهِ ويجعل مقامهم ديراً على طريقتهِ المستحدثة. فاجاب باخوميوس الى طلبتهِ واتى معهم الى شنسيت واقام هناك ديراً قانونيًا اضحى بعد زمن قليل من اشهر اديرة القديس باخوميوس واعظمهم شأناً واكثرهم رهباناً ورئيس هذا الدير الانبا هورسيسي خلف القديس بعد وفاتهِ في تدبير الرهبانية كلها (١

قلنا انَّ شنسيت كانت تدعى ايضاً كينوبُسكيون وهي لفظة يونانيَّة معناها مرعى الإوزّ. فظنَّ علماء العاديَّات انَّ المصريين كانوا يربُّون الاوزّ في هذا المكان. وكان الـ[illegible] قدماء المصريين اعتبار عظيم يقدّمونهُ لموتاهم ولآلهتهم (٢. وقد جاء في [illegible] انطونينوس» اسم كينوبُسكيون. وروى في كتاب « تعريف الدولة » (Notitia Imper[illegible]) انَّ كتيبة من الفرسان كان مقامها في هذه البلدة. امَّا اليوم فهي ضيعة كبرى يسكنها القرويون لم يجد فيها العلماء من الآثار غير كتابات قليلة باليونانيَّة ليس [illegible] امر

والرحلة الى كينوبُسكيون تكون امَّا بالسكة الحديديَّة فيُنزل المسافر في محطَّة

---

١) راجع الترجمة اليونانيَّة في البولنديين (عدد ٧٦) والترجمة القبطية (ص ٧١) والترجمة العربية (ص ٣٧٩)

٢) والاوز كثير الى يومنا في قرى الصعيد. اما البطّ فنادر

دبَّة وامَّا بالسير على النيل وهذه الطريق افضل من الاولى واَّياها اتَّبعنا فركبنا سفينةً بخاريَّة اقلّتنا الى قصر الصيَّاد التي بُنيت مكان كينوبُسكيون. فما نزلنا فيها حتى تعقَّبنا ردمها علَّنا نجد شيئاً من الآثار التي تنبئنا بحبسة القديس باخوميوس في هذه البلدة لما سكنها كناسك عاليّ منفرد او تهدينا الى ديره الذي اقامهُ بعدئذٍ. لكنَّ هذه الاطلال الباقية لم تجدنا نفعاً لما استولى عليها من التقلُّب والخراب. فقصدنا وجوه البلدة لننشد عندهم ضالَّتنا فلم يحيروا جواباً لجهلهم تاريخ اجدادهم. فاردفنا قولنا سائلين: ألا تعلمون اين هو دير الانبا باليمون ؟

فما سمعوا اسم باليمون حتى صرخوا بصوت واحد: ديرهُ قريب من الضيعة لا يبعد عنها سوى ثلث الساعة فسيروا مع القناة المتجهة الى الشرق تجدوه

فاستأهنا للحال سيرنا ورأينا بعد قليل على ضفّة القناة الشماليَّة قُبباً بيضاً حسنة المنظر تعلو سوراً عالي الجدران فعرفنا انهُ هو دير الانبا باليمون

فلمَّا اقتربنا منهُ وجدنا حولهُ قبوراً وكان عند بابهِ قوم على وجوههم امارات الحزن والكآبة تألَّبوا هناك ليودعوا اللحدَ ميتهم. فخفنا ان يعيقنا اجتماعهم عن زيارة الدير وفحص آثاره. لكنَّنا ابتدرناهم بالسلام فاجابوا بكلام الأُنس والترحيب ثم اقبل احد الكهنة الينا وعرض ان يكون دليلًا في زيارة الدير. فشكرنا لهُ لطفهُ وتعناه فأفادنا باديَ بدءٍ انَّ الرهبان لم يقيموا في هذا الدير وانَّما هو مزارٌ يأتي اليه الاقباط ليتبرّكوا بزيارتهِ ويسكنهُ كاهنان عالمَّان من الشيعة اليعقوبية

وفي ضمن هذا الدير ثلاث كنائس: الاولى مخصَّصة لذكر الشهيد القديس مرقوريوس المعروف عند الاقباط بابي سيفَين. وهي اجمل الثلاثة واقدمها وفيها كان الحضور اوشكوا ان يقيموا الجنّاز. امَّا هندسة هذه الكنيسة فبسيطة جدًّا تشبه كثيرًا من الكنائس القبطيَّة المشيَّدة في بلاد الصعيد. فلها سوقان وجهتُهما من الشمال الى الجنوب تعلوهما القُبب العديدة المستندة الى سوارٍ مربَّعة مركوزة على مسافات متساوية. وترى للكنيسة في شرقيها سوقاً ثالثة تشبه السوقين الاوليين لكن لكلّ قنطرة منها معبداً مقفلًا في جانبيه مطلًّا على السوقين السابق ذكرهما. والمعابد خمسة والمتوسّط بينها هو اكبرها ترى فيه الهيكل داخلًا في الجدران مزداناً بضروب الزين وعليهِ تقام الذبيحة والفروض الدينيَّة عادةً. امَّا المعبدان اللذان في الطرف وقناطر السوقين المواجهتين لهما

فيصلّي فيها النساء. ولها الحواجز (الشعريات) من الخشب المصلّب او من الآجرّ. ومدخل الكنيسة الكبير بازاء الهيكل. ولحظنا انّ بناة الهيكل المذكور لمّا ارادوا توسيعهُ كبّروا حنيّتهُ حتى اخرجوها عن سور الدير

والكنيسة الثانية اقيمت تذكاراً للقديس باليمون وهي على مثال الاولى لا تختلف عنها رسماً وانّما سواريها واطئة وقناطرها متوسّطة بخلاف كنيسة الشهيد مرقوريوس حيث السواري عالية والقناطر بيضويّة الشكل

امّا الكنيسة الثالثة فانها معبد فقط بُني اكراماً للعذراء مريم عليها اشرف السلام وقد أُقيمت فوق سطح الدير

وكان دليلنا يزعم انّ هذه الكنائس مع الدير المكتنف بها يرتقي عهدها الى زمن القديس باخوميوس. بيد انّ ذلك وهم لم نحاول تفنيدهُ لعلمنا انّ الجدال مع مثلهِ لا يجدي نفعاً. وحجّتنا انّ الكنائس التي شُيدت في الصعيد في القرنين الرابع والخامس تشبه في هندستها الطريقة البوزنطيّة البديعة ورسمها اقرب الى الكنائس اللاتينيّة. وعلى رأينا انّ كنائس هذا الدير بُنيت بعد ذلك بزمن مديد اعني بعد الفتح الاسلامي حين نشل الاقباط واستولى عليهم الفقر فلم يعودوا يتأنقون في تشييد كنائسهم ولذلك لا تكاد ترى في هذه الابنية الّا نقوشاً قليلة ساذجة وبعض الاخشاب البسيطة (١

على انّنا لا ننكر انّ لهذا الدير شأناً خطيراً فلا مراء انهُ أُقيم للدلالة على مكان مقدّس عرفهُ النصارى الاقدمون فبالغوا في اكرامهِ. ولعلّهُ هو المحلّ الذي سكنهُ باخوميوس لمّا هجر منزلهُ الاوّل ليتلمذ للقديس باليمون. وما ادرانا انهُ هنا كان دير شنسيت الذي ورثهُ باخوميوس من ابونة الرئيس الذي سبق ذكرهُ (ص ٥٨٠). وقولنا هذا مع كونهِ محمولاً على الحدْس والتخمين قريب من الصواب يدلّ عليهِ اسم الدير المعروف بدير الانبا باليمون. ثمّ انّ ما ورد في ترجمة القديس باخوميوس من الافادات والاوصاف ينطبق على هذا المكان بنوع حسن

---

١) ولعلَّ احداً يعترض علينا بقولهِ انَّ منظر كنائس الانبا باليمون يدل على انّها عريقة في القدم. أجبنا ان العتق كثيراً ما يخدع في تعريف زمن الابنية. مثال ذلك كنيسة دميانة شمالي هيكل ايدوس التي يظنّها الناس قديمة جدّاً مع انها بُنيت قبل ٣٠٠ سنة فقط

٣ دير فاو

لم يمرّ على القديس باخوميوس سوى بضع سنين بعد انشائهِ دير تابنّة حتى كثر عدد تلاميذهِ واضطرّ الى ان يبني لهم ديرًا آخر اقامهُ في قرية على قول البعض وفي محلّ قفر على زعم غيرهم شمالي تابنّة في مكان يدعى بافوا (١. امَّا اسم الدير الجديد فقد اختلف الكتبة في كتابته. فانَّ ترجمة القديس اليونانيَّة تدعوهُ پرو (Πρου) والترجمة القبطيَّة فبو (ϥⲃⲟⲟⲧ) والعربيَّة فاو. وزاد هذا الدير ونما وجعل فيهِ القديس باخوميوس مقامهُ حتى صار مركز بقيَّة اديرتهِ

فاخذنا ننشد ضالَّتنا فقيل لنا انَّ في شرقيّ قصر الصيَّاد على مسافة ١٢ كيلومترًا قريةً كبرى تدعى فاو فيها آثار مسيحيَّة جليلة. فاستفزَّنا الطرب لهذا الخبر وودَّعنا الكاهن الذي تلطَّف ودلَّنا على دير الانبا باليمون ثم توجَّهنا الى القرية المنوَّه بها فكان سيرنا اولًا على مجرى القناة ثم بقرب السكة الحديدة حتى وجدنا في وسط الحقول طريقًا تبعناها فادَت بنا الى القرية المقصودة

وكنا في اثناء طريقنا نسرّح البصر في الجبال المنتصبة امامنا. وهي السلسلة المعروفة بالعربيَّة ذات الصخور الشديدة البياض. وقد نُنقر في هذه الصخور مدافن عديدة كنَّا نرى مداخلها عن بعد. قيل انَّ عهدها يرتقي الى زمن الفراعنة حتى الدولة السابعة. والى هذه المدافن كان يتردَّد الحبساء الاقدمون كالقديسَين باليمون وباخوميوس ليعتزلوا عن الناس ويستحرّوا في صلاة الله. وكانوا قدَّسوا هذه المغاور برسم اشارة الصليب فوق ابوابها ومنهم من كتب عليها الآيات التقويَّة وكتابات أُخر في القبطيَّة. ولولا ميل النهار الى الغروب لكنَّا توغَّلنا في الجبل لزيارة هذه القبور

ثمَّ انفسحت بعد مدَّة امامنا السلسلة الجبليَّة وانبسط سهل متسع الجوانب كثير الخضرة ذو حدائق غنَّاء في وسطها القرى والمزارع حتى بلغنا آخرًا بلدة فاو وهي عبارة عن قريتين يفصل بينهما غديرُ ماء. وهما فاو القبلي جنوبًا وفاو البحري شمالًا فنزلنا في الاولى التي لقيناها في طريقنا. فما رآنا نصارى القرية حتى خفُّوا لاستقبالنا ولمَّا عرفوا ما غايتنا من زيارة محلَّتهم ذهبوا بنا الى طرف ضيعتهم شمالًا فاورنا في الحضيض عدَّة

١) راجع الترجمة القبطيَّة (ص ٧٠)

عواميد من الحجر الصوّان مطمورة في الارض واعلمونا أنّها بقايا كنيسة القديس باخوميوس

فانعمنا النظر في هذه الآثار واستدللنا من كثرتها وعظمها وحسن نقوشها أنّها كانت في الزمن الغابر كنيسة بديعة لكنّنا لم نتمكن من معرفة هيئتها وسعتها وقبلتها الى غير ذلك من العلامات التي تشير الى هندستها. والجدران الباقية منها كلها مطمورة لا يُنظر شيء منها. بيد أنهُ قد جاء ذكر هذه الكنيسة في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني (ص ١٣١ من طبعة اوكسفورد) احد كتبة القرن الثالث عشر قال: «الناحية المعروفة بفاو من الصعيد الاعلى بها دير وبيعة على اسم القديس ابو (كذا) بخوم وهذه البيعة كبيرة متسعة طولها مائة وخمسون ذراعاً وعرضها خمسة وسبعون ذراعاً وهي الآن قد تشعّثت وجميع الصور التي فيها كانت فصّ زجاج مذهّب وملوّن وعمدها رخام هدمها الحاكم (بامر الله) »

ولا نشكُّ انَّ اعمدة الصوّان التي في هذه الكنيسة أُخذت من احد هياكل الاصنام المهجورة بعد الحكم الذي اصدرهُ تاودسيوس الكبير في ابطال عبادة الاوثان. وقد أيد رأينا هذا عمودٌ وجدناهُ في اثناء بحثنا قريباً من هناك عند مدخل القرية وكلهُ مكتوب بالقلم المصري القديم

امَّا القرية الثانية التي موقعها شرقيّ الكنيسة فانَّ الآثار المسيحيَّة فيها عديدة وكلها اخربة لاديرة بناها الرهبان المنتمون للقديس باخوميوس منها قطع عواميد ورؤوس اكلّة قريبة من الطرز الروماني (style roman) وهناك من نحيت الحجارة ما لا يُحصى تراها مبثوثة فوق الحضيض وفي طرق البلدة وقد اتخذ الفلاحون منها قسماً لبناء بيوتهم. وبينا نحن نتجوَّل بين هذه الاطلال اذ رأينا قرب جامع هناك حجراً عليهِ كتابةٌ يونانيَّة وهو غائص في الردم. فلم نزل نلاطف اصحاب المكان حتى رخَّصوا لنا بنزع الحجر من محلّهِ فاذا في وسطهِ صليبٌ حسن الشكل يحدق بهِ تاجٌ جميل وتحت الصليب كتابة لم يمكنّا اخذ رسمها لانَّ اهل الضيعة كانوا اجتمعوا حولنا ولعلّهم ظنّوا اننا حفرنا لنستخرج الكنوز المدفونة هناك ومّما قرأنا في هذه الكتابة اسم ΠΑΝΥΤΙ (بانوتي) وهو اسم الوكيل العامّ الذي اقامهُ القديس باخوميوس في دير فاو كما يُروى في سيرتهِ

هذا ولولا ما جاء في التاريخ من وصف هذا الدير لما امكن أن نتصوَّر هيئتهُ

القديمة. وهذه خلاصة ما عثرنا عليه في التآليف القديمة. كان للدير سور كبير مرتفع الجدران ولا يُدخل اليهِ الّا من بابٍ واحد. وكانت قُبب الكنيسة محلّقة في الفضاء يراها القادمون من مسافة بعيدة بين سعوف النخل التي تتهادى في الجوّ

وكان الزائر اذا دخل الدير يجد اولًا منزل الضيوف والغرباء ثمَّ قريبًا منها المعامل العموميَّة كالمطبخ والمطعم والتنور وغير ذلك من المصانع ثمَّ منتدى الرهبان ومجلسهم العمومي ثم الكنيسة تفوق الابنية كلها علوًّا واحكامًا ثم اخيرًا مقام الرهبان وهو عبارة عن بيوت شتى فيها قلالي متعددة يسكن كل راهب واحدةً منهــا مع ردهة عظيمة يجتمعون فيها لاشغالهم العموميَّة. وكان من يعتبر هذه الابنية العديدة يجد انها اشبه بقرية تخطها الازقّة والشوارع وتزينها البنايات المنتظمة بينها جنائن صغيرة يقوم الرهبان بفلاحتها. وللاقباط حتى اليوم في بريَّة نيتري اديرة تمثّل لنا شيئًا من احوال هذا الدير القديم منها مأهولة يسكنها الرهبان وهي دير مار انطونيوس ودير مار بولا بجوار بحر القلزم ودير المحرَّق بقرب منفلوط ومنها مهجورة لا تزال ابنيتها ماثلة

وكان عدد الرهبان الذين تنسَّكوا لله في هذا الدير بعد وفاة القديس باخوميوس وفي عهد خلفهِ هورسيسي بلغ نحو ٦٠٠ راهب يفيدنا ذلك الاسقف امون في رسالة كتبها للبطريرك تاوفيل (١ قال: انَّ عدد بيوت الرهبان ٣٥ بيتًا يأوي في كل بيت نحو ٢٤ راهبًا. وكان لكل بيت متقدّم يتولى امر رهبانهِ ويخضع للرئيس العام

وقد روى صاحب ترجمة القديس باخوميوس العربيَّة خبرًا عجيبًا يبيّن انفة القديس من البنايات الجليلة المنظر قال (ص٦٣٢): انَّ القديس باخوميوس لمَّا اراد بناء كنيسة الدير واقام فيهــا الاعمدة العظيمة تأثَّر من جمالها وخطورة مشروعهِ فاحسَّ بشاعرة المجيد الباطل فامر من ساعتهِ الرهبان ان يربطوا الاعمدة بالقلوس والحبال ويسحبوها الى ان يختلّ نظامها بعض الخلل ولمَّا تمَّ عملهم ابتنى السقف فوقها وانتهز هذه الفرصة ليوصي تلامذتهُ بالّا يتأنقوا في بناياتهم ويكتفوا بالعمارات البسيطة

قلنا سابقًا انَّ القديس باخوميوس بعد انتهاء دير فاو جعل فيهِ مركز الرئاسة العموميَّة واتخذ منذ ذاك الحين في تدبير الرهبان ما شاع بعده من النظام والسياسة اعني انهُ جعل رئيسًا عامًّا على كل الرهبنة ورؤساء خصوصيين يطيعون للرئيس العام. وكان

(١) راجع اعمال القديسين للبولنديين الجزء الثالث من ايار ع ١،٢، ١١

بقرب الرئيس العام وكيلٌ يتولى تدبير الرهبنة في احوالها الزمنيّة يدعى ايكونومس اي مقتصدًا. وهذه الهيئة النظاميّة دخلت بعد ذلك في الغرب جرى عليها اولًا رهبان كلوني (Cluny) في القرن الحادي عشر ثمَّ شاعت حتى صارت اليوم تعمُّ كلَّ الرهبانيّات الجديدة

وكان الرهبان كلهم يجتمعون مرّتين في كل عام في دير فاو. فكان الاجتماع الاوَّل يُعقد في عيد الفصح ليقيم الرهبان الاسرار الجيدة بما امكنهم من الأبهة والرونق ويسمعوا ارشاد الرئيس العام. وكانوا يعمدون في ذلك الوقت الرهبان الموعوظين الذين لم يصطبغوا بالعماد قبل تلك المدّة. امَّا الاجتماع الثاني فكان موقعهُ في ٢٠ مسري (١٣ آب) للنظر في امور الاديرة الزمنيّة ولتوثيق عرى المحبّة بين الرهبان. وكان الرؤساء الخصوصيون يؤدّون وتتنذ الحساب للوكيل العام. ثمَّ كان الاخوة يتسامحون بالذنوب ويقبّلون بعضهم بعضًا بقبلة السلام (١. وكان الرئيس العام ينتهز تلك الفرصة لتغيير الرؤساء اذا وجد داعيًا لذلك ولكي يجرّدهم عن التعلّق المفرط بديرهم لئلا يظنّوا انهم اصحاب ملك لا وكلاء عليه (٢

وهنا يحقّ بنا ان نبدي شعائر العجب اذ نرى في كنيسة فاو العظمى نحو خمسة آلاف راهب (٣ نبذوا العالم وملاذَّهُ واجتمعوا هناك تحت طاعة رئيس واحد ليخدموا الله ويتجرَّدوا للآخرة. فلعمري انَّ هذا الفكر أثَّر فينا اي تأثير اذ كنَّا نطوف بين هذه الآثار المندثرة

وفي هذا الدير قد توفّي انبا عبدهُ باخوميوس سنة ٣٤٦ فقام بامر جنازته نائبهُ وتلميذهُ تادوروس (تادرُس) ودفنهُ في الجبل المجاور للدير. ثمَّ نقلهُ خفيةً الى محل آخر كما كان القديس اوعز اليه وكان يأتي ليلًا ويصلي عند قبرهِ الجديد دون ان يعلم بهِ احد من الاخوة (٤

---

١) راجع مقدمة القديس ايرونيموس على قانون القديس باخوميوس (ع ٨) ومجموع اعمال الاباء اللاتيني لمين (المجلد ٢٣) ٢) راجع الترجمة القبطية (ص٢٢٣)

٣) هذه الرواية الصحيحة كما ذكرها كاسيان في كتاب رسوم الرهبان (De cœnobiorum constitutione XI c. 1) امَّا القديس ايرنيموس فبلَّغ هذا العدد الى خمسين الفًا ونظن انَّ الصواب ما ذكرهُ كاسيان

٤) راجع الترجمة القبطيّة (ص ٢٦٢)

وكانت وفاة تاودوروس المذكور في فاو ايضاً سنة ٣٦٨ دُفن في الجبل ثم نقلهُ ليلًا الانبا هورسيسي ودفنهُ في جانب ابيهِ الروحي القديس باخوميوس (١

ومن هنا يتّضح لنا انَّ الرهبان كانوا اعتادوا دفن موتاهم في الجبل لئلا يضرَّ بها فيضان النيل. ولنا على ذلك شاهد آخر وهو مثال راهب كان اوشك على الموت في ايّام فيضان النيل فاخذ اخوتهُ يتضرَّعون الى الله ان يُنسيءَ في اجلهِ لئلا يضطروا الى خوض المياه عند نقلهم جسده الى جبل

وقد بقي مدفن القديس باخوميوس مجهولًا الى يومنا هذا ولعلهُ في احدى المغاور بين الصخور التي كنَّا نشاهدها في الجبل شمالًا وشرقًا. لكنَّنا نرجّح كون قبره في الرمل المتجمّد الذي يعلو فوق السهول المجاورة للنيل عند حضيض الجبل. فان العامّة تدعو هذه الكثبان الرمليّة جبالًا. وكان النصارى في كل الاعصار يدفنون موتاهم في هذه المقابر كما ترى في ارباض اسنة واخميم والبهنسا. وغيرها ايضاً (ستأتي البقيّة)

# الامراض العينيّة

## المسبّبة عن امراض الاسنان

للدكتور البارع شاكر بك الخوري احد اساتذة المكتب الطبي الفرنساوي

قدَّمهُ للمؤتمر الطبي الذي عُقد في بيروت في ١٨ ايّار ١٩٠١

قد وقفتُ في هذه الايّام الاخيرة على مشاهدات عديدة بيَّنت لي باجلى بيان ما من العلاقة بين امراض العين وامراض الاسنان والفم بحيث لم يبقَ موضع للشك في ان عِلَل الاسنان تسبّب للعين ادواء مؤلمة

فاحببتُ ان اجمع هنا ما لحظتهُ من الارتباط التشريحيّ الموجود بين العين والاسنان وما عاينتهُ من المشاهدات لرغم مغالطة بعض الاطباء الذين يرضون العمى ولا الاقرار

(١ راجع الترجمة ذاتها (ص ٢٧٦)

بالحقائق الراهنة المبنيَّة على الظواهر المتعدِّدة . وقبل إيراد ذلك اقول:

اولًا انهُ لأمرٌ مقرَّر انَّ في مدَّة التسنين يظهر في عيون الاطفال رمدٌ يعتاص علاجهُ بالطرائق المعتادة . وهو يدوم طول زمن التسنين ويزول بانتهائهِ

ثانيًا انَّ الحروق التي تحدث للفم تُدمع العين فترى الرجل اذا شرب مشروبًا حارًّا أحرق فاه تغرغرت عينهُ بالدمع . و يؤيد ذلك قصَّة كنتُ اسمعها في صغري فاوردها تفكهةً للارواح لانَّ الهزل يقوّي الجد كما تقوّي الرياضة الجسم وتنشطهُ: قيل انَّ رجلًا جلس مع ولدهِ للطعام وكان الثريد حارًّا فاسرع الولد ولعق منهُ ملعقةً لكنهُ لم يشعر بحرارتهِ حتى ادمعت عيناهُ فسألهُ ابوهُ عن سبب ذلك فقال الولد: خطر على بالي المرحوم اخي فبكيتُ . فاخذ الوالد يعزّي ابنهُ ويدعو لهُ بالبقاء من بعدهِ . ثم تناول هو ملعقةً من الثريد فاحترق فوهُ ودمعت عيناهُ فسألهُ ابنهُ: ما سبب بكائك يا ابتِ . فاجاب الوالد بديهًا: تذكَّرت اخاك المرحوم واسفت على ان عزرائيل قبض عليهِ وابقاك لي من بعدهِ

ثالثًا اذا بكى المرء سال لعابهُ من فيهِ

رابعًا انَّ الامراض التي تحدث لقزحيَّة العين تسبب ألمًا للاسنان كما انَّ ألم الاسنان يدمع العين

فلعمري لو لم يكن بين العين والاسنان ارتباط لما شوهدت كلّ هذه الظواهر وغيرها ايضًا ممَّا لم نسردهُ اقتصارًا

## الارتباط التشريحيّ

ولكن دعنا من هذه الظواهر ولنأتِ الى ذكر الارتباط التشريحي الموجود بين الاسنان والعين فنقول انَّ هذا الارتباط التشريحيّ هو الارتباط العصبيّ

ويكون الارتباط العصبي على ضربين الاوَّل : ارتباط الزوج الخامس او التوأمي الثالث (trijumeau) وهو عصب يتوزَّع على العين وعلى اسنان الفكَّين العلوي والسفليّ . وهذا من امتن الرباطات . وكذلك رباط غدَّة غلسر (Glasser) وهي ذات ثلاثة فروع: الفرع العينيّ والفرع الفكّي العلوي والفرع الفكّي السفليّ وكلها يتوزَّع في العين والفكَّين على سواء . الّا انَّ للفرع العينيّ ثلاثة فروع أخرى تقوّي هذه العلائق وهي الفرع الجبهيّ والفرع الدمعيّ والفرع اللساني . ومن هذه الفروع كلها يتولَّد

جميع احساس العين. وللفرع العينيّ جملة فروع تتنشّم مع العصب البصري وتضمّهُ الى الاعصاب المحرّكة للعين

والضرب الثاني للارتباط العصبيّ هو المظيم السمپاتوي (le nerf grand sympathique) فلهُ قوّة كبرى في احساس العين وذلك بواسطة الغُدّة العينيّة التي لها ثلاثة جذور: الجذر المحرّك الذي يأتي اليها من المحرّك العيني المشترك. والجذر الحسّاس الآتي لها من العصب العيني. ثمّ الجذر الغُددي الذي يأتيها من الظفيرة السباتيّة. وترى من جهة أُخرى انّ هذه الغدّة نفسها توزّع الاعصاب الهدبيّة التي لها اهمّ وظيفة في تكيُّف العين

فمن هذه التفرّعات الواصلة بين العين واجزاء الفم تفهم ما هو السبب للتدمّع والرَمد والبثور وقروح القرنيّة التي تُشاهد عند تهيُّج العصب التوأمي الثلاثي. كما انّ عصب المظيم السمپاتوي يهتاج عند وجع الاسنان ويولّد شلل التكيُّف اي تمدُّد الحدقة وذلك اذا نخرت الاسنان وسوّست وهذا الشلل يزول بقلع السنّ المسوّسة. وعلامتهُ زيادة الاحساس في ذلك القسم الذي فوق الحجاج وتحتهُ عند الضغط عليه

وكذلك تفهم ممّا سبق كيف يسبّب تهيُّج الاعصاب الضامّة العصب البصري مع الاعصاب المحرّكة للعين حوَلًا. وهذا الحوَل يظهر مدّة التسنين وعند ألم الاسنان

وكذلك ربّما احدث وجعُ اللثة وتسوُّس السن اضطرابًا في العصب البصري فيضمّهُ الى ان يسبب عمًى كليًّا

المشاهدات

وتأييدًا لما سبق اروي هنا بعض ما لحظتهُ بنفسي. فمن ذلك ما اخبرتُ بهِ في كتابي صحّة العين (الصفحة ٧٩) وهو حادث رجل من جُبيل عمرهُ ٣٥ سنة اتاني عام ١٨٨٥ وهو مصاب بضعف في البصر قريب من العمى. فبعد فحص العين بتدقيق لم اجد فيها سببًا لمرضهِ. ثم سألتهُ عن المشروبات الروحيّة والتبغ فاجاب انهُ لم يَعتدْ شيئًا من ذلك. فعلمت انّ المرض عصبي صرفًا فسألتهُ كيف ابتدأ معهُ. فقال انهُ احسَّ بألم شديد في ضرسهِ عقبهُ ضعفٌ في البصر. وكانت ضرسهُ لم تُقلع بعد لكنّهُ لم يشعر فيها حاليًّا بألم فافتكرت انها هي سبب ضعف بصرهِ فقلعتها وبعد عشرة ايّام زال الوجع مع الضرس

الحادث الثاني جرى لامرأة من أُسرة كريمة من لبنان كان عمرها ٦٥ سنة وكانت

عصبيَّة المزاج فاصابتها قرحة قرنيَّة في عينها اليمنى مع التهاب حول القرحة وألم شديد في العصب يحرمها النوم غالباً. فحضرت اليَّ من لبنان مع طبيبها الذي اخبرني انهُ عالجها مدَّة ستَّة اشهر ولم يدَّخر دواء في علاجها كالاتروبين (atropine) والازرين (isérine) والمكمدات الحارَّة غير ان ذلك لم يأتِ بفائدة

فعالجتها بالمعالجات نفسها بمقادير مختلفة وزدتُ عليها الارستول (l'aristol) ثمَّ كويتُ القرحة بالبلاتين (thermocautère) فافادها ذلك كثيرًا واخذت القرحة تلتحم وذهب ألم العصب

ثمَّ تقدم حزيران فتأذَّت السيدة من لفحات الحرّ وطلبت ان تعود الى لبنان فاوصيت طبيبها ان يداوم معالجتها على ما سبق. ولمَّا كان شهر أيار من السنة التالية عادت الى بيروت لمعاودة الألم واشتداده بحيث ظنَّ البعض انهُ حصل لها سرطان في العين وارادوا قلعها. ففحصتُ العين ثانية فوجدت انَّ سقمها زائد وانَّ للقرنيَّة قرحين جديدين مع خطّ قرحيّ يقسمها من اعلاها الى اسفلها لكنَّ القرحة الاصليَّة كانت برئت

وهذه القروح كانت موجودة في الجهة الوحشيَّة من قرنيَّة العين اليمنى لها حافات غير منتظمة مرتشحة والقاع سنجابي والعين محتقنة من جهة القروح

فعالجتها باليودوفورم والمكمدات الحارَّة والارستول والازرين والاتروبين دون جدوى. ولحظتُ ان الاتروبين والازرين لم يفعلا فعلهما في تمدُّد الحدقة وانقباضها فاستدللت بذلك على انَّ القرنية اصابها نوع من الشلل فانتبهتُ للعصب وفحصت الدماغ فلم اجد ادنى تغيُّر للاعضاء المجاورة. فعمدتُ الى فحص الاسنان لكنَّ السيدة كانت درداء. لم اجد في فكَّيها سوى جذر ضرس صغيرة في ناحية العين المريضة. فسألتها أتشعر فيها بألم فنكرت. لكني عوَّلت مع ذلك على قلع الجذر وكان في الفكّ العلويّ فما مرَّ على قلعها ثلاثة أيَّام حتى ابتدأ الشفاء. وتمَّ بعد مدَّة قليلة دون ان ازيد شيئاً على طريقتي العلاجيَّة الاولى فاستنتجتُ انَّ سبب القروح انَّما هو تهيُّج عصب الزوج الخامس. واشتهر خبر هذا الشفاء لانَّ السيدة المذكورة كانت من عائلة كريمة وكان اطبَّاؤها اشاروا اليها بقلع عينها. وكانوا فعلوا لو لم تحضر الى بيروت وتستشيرني في امرها

ومن غريب ما جرى بعد ذلك انَّ رجلاً عمرهُ ٥٢ سنة أُصيب ببزور جفنيَّة قويَّة جدًّا مع سَبَل على العين شديدٍ ايضاً فعالجهُ بعض الاطبَّاء دون فائدة حتى وقع في ايدي

طبيب غرّ كان يعرف السيدة التي شفيتها بقلع ضرسها . فعالجهُ مدَّة شهرين دون جدوى حتى قال لهُ يوماً : يا صاح انَّ مرض عيونك يأتي من اسنانك كالست فلانة فلا بدَّ من قلعها . فقنع الرجل وكان هو ايضاً يعرف الستّ . فقلع لهُ ضرساً اولى ثم ثانية ثمَّ ثالثة ورابعة دون ان يحصل الشفاء . فقال اخيراً المريض لطبيبهِ : سمعت ان الطبيب الذي قلع سنَّ الستّ هو في بكاسين يصيّف هناك فرادي ان اذهب اليه . فقدم عليَّ في شهر آب من سنة ١٨٩٩ فاقد العينين فضلاً عن اضراسهِ الاربع . فبعد الفحص طمّنتهُ عن نوال الشفاء لعينيهِ فشفي بقوَّة الله امَّا الاضراس فلم يمكنّي ان اردَّها لهُ

واعلم اننا لم نستوفِ ذكر كل الاتصالات الموجودة بين العين والاضراس . فانهُ يوجد بينهما علائق بواسطة الاوردة كالظفيرة الشفاهيَّة والتوجيَّة والوريد الوجهي والزاوني الذي يصبُّ في الوريد العينيّ . وينقسم الى قسمين في الجيب الجوفي

وكذلك يوجد علاقة بين السمحاق ( périoste ) والفم لان سمحاق الحجاج يتَّصل بسمحاق الفكَّين ومنهما الى السنخ السنيّ وهذه السنوخ تتصل بالجيب الفكّي الذي جداره رقيق جدًّا وربَّما نقص فبقيت جذور الاسنان معرَّاة في الجيب

وكذلك ايضاً يوجد اتصال بين الغشاء المخاطي الذي يغلّف سمحاق الجيب وهو امتداد من الغشاء الانفي وبين وقبي الانف وذلك بثغرتين الواحدة في الصماخ الاوسط والثانية هي نُقرة الجيب الحقيقيَّة

واخيراً يوجد اتصال بين عظام العين وعظام الفم فان الجدار العلويّ للجيب متَّصل مع السطح السفليّ للحجاج الذي هو رقيق جدًّا

فكل هذه الارتباطات تؤيد المشاهدات والظواهر التي عاينّاها وهي تبيّن ان امراض الاسنان تؤثر في العين كما انَّ امراض العين تؤثر من جهتها في الاسنان . فاذا فحص الطبيب عيني المريض يجب عليهِ ايضاً ان يوجّه نظره الى اسنانهِ وفمهِ وانفهِ لعلَّهُ يجد في احد هذه الاعضاء سبباً للداء فيحسمهُ بالمعالجة اللائقة

وعلى كلّ حال فليحترس الطبيب من قلع الاسنان في مرض بزر الجفون لعدم علاقتهِ مع الفك

هذا ما رأينا إيرادهُ بوجيز الكلام . ولنا تقرير آخر في عمليَّة جديدة للشعرة التي اصبنا بها كلَّ نجاح نشرحها ان شاء الله عند سنوح الفرصة

# كمران والصليف والحُدَيدة

بقلم الكاتب الضليع بيت الخضري البغدادي

ورد اليَّ كتاب من احد الاصدقاء في كمران فاحببتُ ان اذكر ملخَّصهُ لقرَّاء المشرق مع فوائد أُخر عثرت عليها في كتب متعددة إفادةً للجمهور

كمران ومعناها — كمران بكافٍ في الاول ووَهِم من كتبها بقافٍ قال عنها في مراصد الاطلاع: «بالتحريك وآخرهُ نونٌ: جزيرة كمران باليمن». وزاد صاحب التاج في مستدرك مادة ك م ر: «بالقرب من الصَّليف. وابو عبد الله العراقي تريل كمران الفقيه المحدّث احد من اخذ في العراق عن ابي اسحاق الشيرازي صاحب التنبيه ترجمهُ ابو الفتح البغدادي في ذيلهِ على تاريخ بغداد. والعجب من المصنِّف (اي من المجد الفيروزابادي) كيف ترك هذه الجزيرة وهي من اشهر جزائر اليمن وتريلها تلميذ جدّهِ. وقد ترلتُ بها (اي السيد المرتضى) وزرتُ الوليَّ المذكور». وقال في مستدرك مادة ك ل ل: «واحمد بن اسعد الكلالي من اهل جزيرة كمران فقيهٌ ذكرهُ الخزرجي»

امَّا معنى اللفظة فليس لهُ اشتقاقٌ في الاصول العربيَّة التي بيدنا ولعلَّ الاصل مفقود بفقد كثير من الاصول وهو غير مفقود في الآرامية. فكمران مشتقة من كمر ومعناها: أحزنَ. فيكون مؤدى معنى كمران الارض المحزنة لوحشة تلك الاراضي وإقفارها

وصفها ومعنى الصليف — ان كمران هي بمنزلة رَبَض للصليف. وهذه اوحش من تلك بكثير. ولفظة الصليف مشتقَّة من الصلفة او الصلفاء. وهي: الارض الصلبة اوالغليظة الشديدة. لوجود ارض الصليف على هذه الحالة. وتتردد المراكب البحريَّة الى الصليف بدون انقطاع وفيها جماعة من الافرنج للإتجار او للقيام بالاشغال التي قُلّدوها. امَّا حرُّها فشديد لا يُطاق لا لكون ارتفاع درجتهِ يبلغ الغاية القصوى (اذ لا تتجاز الحرارة الدرجة الـ ٣٠ من القياس المئوي) لكن لرطوبة تلك الحرارة وليس هناك نسيم ولا ريح باردة ولا حارة في ايام الصيف الّا في النادر ولهذا فيتصبَّر العرَق وتشتدُّ من جرَّاء ذلك الامراض الوبيلة مبتدئة بقلة شهوة للطعام وانحلال قوى الجسم او تراخيهِ. وزد على ذلك كثرة البعوض في تلك النواحي فينام الافرنج في

كَلَل يمدون فيها كأنهم في اتون نار حامية. امَّا المطر فيقع فيهـا على تعاقب الفصول الاربعة وليس بغزير . واكثر وقوعهِ في تموز وآب. واذا اردت الحقّ فليس في تلك النواحي شتاء ابدًا لان الريح الحارَّة التي تنقطع عن الهبُوب في اشهر الصيف تعود فتهبّ طول السنة حارَّة محرقة بدون انقطاع

ويُحيط بالصليف مَمالح عديدة إنْ معدنيَّـة وان بحريَّة ويَكثر اغلبها في قُفر (القف ما ارتفع من الارض) هناك عظيم لا نبات فيهِ ولا شجر . وتستخرج منهُ شركة الملح شيئًا كثيرًا في كل سنة وتصدره الى بلاد الهند والشرق الاقصى

ولجزيرة كمران فُرضة حسنة . وهناك تُضرب الخيام للحجر الصحّي ويوجد فيها سكّة حديد طولها خمسة كيلومترات تنسلُّ في خلال الجزيرة وداخل المضارب انسلال الارقم وتنزل فيها الزوَّار والحجّاج وهم يأتون اليها من كلّ فجّ عميق ووادٍ سحيق واغلب الذين يأتون اليها في شهر تشرين الثاني هم من الهند وجاوة والصين ونحوها . والزوار الذين يأتون مكَّة على طريق كمران فقط يبلغون ستين الفًا في السنة

وفي هذه الجزيرة مُختبَر للأحياء (laboratoire de bactériologie) ومُغرِب(١ واجهزة للتقطير وللتبريد وغير ذلك من الآلات التي يأتي الأعراب لمشاهدتها فينسبون اعمالها الى الجن والمشتغلين بها الى السحَرة

وفي كمران حصن عظيم تداعت جدرانهُ وتضعضعت اركانهُ عقـد حجارتهُ قدماء الفرس ثمَّ احرقهـا بالمدافع الغزاةُ البحريون البرتوغاليون . وفي الخرائط التي خطَّطها الانكليز او يخطِّطونها علامة على كمران تُشير الى انها من املاكهم وليس شيء افظع من هذا الكذب او هذا النوع من السرقة الانكليزيَّة فان الدولة العليَّة قد ملكت هذه الجزيرة من مدَّة تُربي على ٣٥٠ سنة اي منذ أخذها اليمن . وذلك ان السلطان سليم بعـد ان قهر مصر ارسل سنة ١٥٣٠ م احد قوَّادهِ واسمهُ المملوك سليمان باشا حسب النصّ المحفور على رخامة منصوبة في الجزيرة بعبارة تركية وهذا تعريبها :

---

١) اي تلیفون . وهذا من الاشتقاق المقيس عليهِ . قال في كتاب الاغاني للاصبهاني (٢١ : ٦٧) « قال ابو جندب :

وغرَّبتُ الدعاء وأين مني اناسٌ بين مرَّ وذي يدوم

غرَّبتُ الدعاء : دعوتُ من بعيدٍ » اه بنصّهِ

« اني انا الخادم سليمان باشا والي مصر العبد المملوك لحضرة فاتح مصر السلطان سليم خان قد نشأت في الحرَم الخاص بهِ . ورأيتُ اموراً كثيرة عند فتح مصر وقد اتيت سنة ٩٤٥ (روميّة) الى جزيرة كمَران بالاسطول الهمايونيّ لدفع لصوص البحر والتنكيل بجم من ابناء برتوغال المتولين على البحر الاحمر وبعد ان اخذتُ عدن تقريباً وعيَّنت جرام بك امير لواء ذهبتُ الى الهند ومن الهند اتيتُ الى مُخا وقتلتُ احمد ناخُذاه بك الموجود في زبيد من الامراء الجراكسة ثم رجعتُ قافلًا الى مصر بعد ان عيَّنت مصطفى بك امير الاي الذي كان سابقاً نائب غزَّة حاكماً على اليمن واوصيتهُ بالاستيلاء على تغزك الخ الخ (١

وكانت الدولة العليَّة قد اذنت لجاريح الانكليز في محاربتهم للحبشة سنة ١٨٦٧ و ١٨٦٨ ان يُمرَّضوا في هـذه الجزيرة وكان يومئذٍ رئيس الجنود الانكليز اللورد روبر نابيَر اوف مجدَلة ( Lord Robert Napier of Magdala ) ومنذ ذاك الحين اخذ الانكليز يعلِّمون تلك الجزيرة بعلامة مُلكهم . وهو من الغرابة بمكان . والشائع على ألسنة العوامّ في هذه الجزيرة ان كَمَران ( وينطقونها كالترك اي قَمران مثنّى قمر في حالة الرفع ) هو اسم ملكة عربيّة اصلها من سبا كان حسنها بمقام حسن قمرَين وباسمها تسمَّت الجزيرة تشرُّفاً وتبركاً وافتخاراً

امَّا اخلاق العرب في نواحي كمَران فتستلفت انظار الجميع فان الدعة تغلب على سكان السواحل منهم . والغلظة والجفاء والعنجهيَّة تغلب على سكَّان داخل تلك البلاد وعند الجميع تُعدُّ الضيافة من الامور المقدَّسة . وهم يُسمّون روميّاً ( ومعنى الرومي عندهم النصراني على وجه الاطلاق ) من يلبس لباساً افرنجيّاً مهما كانت ديانتهُ او اورمتهُ على حدّ ما اصطلح عليه الاعراب في العراق والجزيرة وبادية الشام . . .

---

١ ) وهذا نصُّها التركي : « خادم سليمان پاشا »

« فاتح مصر سلطان سليم خان حضرتلرينك عبد مملوكتدن اولوب حرم خاصده تربيه اولمش ومصر فتحنده برابر بولنه‌رق پك چوق امور كورمش اولان خادم سليمان پاشا مصر والیسی اولدیغی حالده بحر احمره مستولی پورتغال قورصانلدینی دفع وتنكيل ايچون دونناي همايون ايله ٩٤٥ ( رومى ) تاريخنده قمران جزيره سنه كلوب وبر تقريب عدنی ضبط ايدوب جرام بكی مير لواء تعيين ايتدكدنصكره هنده كيتمش وهنددن مخايه كله رك وامرای چراكسه‌دن زبيده بولنان ( احمد ناخذا ) بكی قتل ايدرك سابقاً غزه نائبی اولان مير لواء مصطفى بكی يمن حاكمی براقدقدنصكره وتعزلك ضبط واستيلاسنی توصيه ايلدكدنصكره مصره متوجهاً عودت ايلمشدر الخ الخ

الحُدَيدة قال التاج في مستدرك مادة ح د د: والحُدَيدة مصغَّرًا قرية على ساحل بحر اليمن. سمّيت بها الحديث». والحديدة في هذا اليوم مدينة مبنيّة على البحر ومياؤها لا يرام ولهذا لا يوافق تعمير بلدته وتحسينها وترقيتها درجات الحضارة والعمران او نموّ تجارتها. واغلب هذه التجارة البنّ. والبنّ الذي كان في سابق الزمان يصدر من مُخا لم يعد يخرج منها اليوم شيء. وقد اصبحت مُخا قريةً خاملة الذكر ليس لها شيء. من الاهمية وجميع اصناف البن الذي يصدر من اليمن يجيء على طريق الحُدَيدة. وفي هذه المدينة مرسلان وثلاث راهبات وجميعهم من رهبانيّة الكبوشيين. واحد هذين الابوين ماروني الاصل (ي. عذبا) من تلامذة كليّة الاباء اليسوعيين في بيروت واسمهُ في الرهبانيّة الاب فُلجنس Fulgence وبهذا القدر كفاية والسلام

---

# حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

## القسم الثاني

ان المسافر متى بارح الوادي الخصيب الذي فيهِ ترتفع قرية دوما الزاهرة متدرجة على هيئة السلّم يأخذ الطريق المؤدية الى قرية ترتج فلا يمشي فيها غير يسير حتى يصل الى سلسلة جبال عالية تُعرف بجبل ترتج. وهناك تنبت بعض اشجار ضنينة ما بين صخور قطّعتها المياه والعوامل الجويّة معطية اياها اشكالاً وهيئاتٍ غريبة. على ان ما يُشاهَد في كلّ هذه البقعة من خَبَث الحديد يُنبئ بان الناس عالجوا فيها عمل هذا المعدن ازماناً بهمّة ونشاط

وكان جبل ترتج في ايّام الرواية التي نسرد حوادثها مكتسيًا بغابات كثيفة من الارز والسنديان والصنوبر والشربين يختلط معها قليل من الاشجار المثمرة كالاجاص والجوز.

وكان يأوي الى هذه الغابات وحوش مختلفة الانواع بينها كثير من الضواري الراتعة في تلك الآكام المنيعة دون ان ترى ما يقلق راحتها الّا ما ندر. وكان في جملة الضواري اسود ترعج الفضاء بزئيرها ودِبَبة يرنّ الجوّ من نئيمها ونمورة تزقّ الآذان زماجرها. غير انَّهُ مع ما في الغابات المذكورة من الاخطار شرع بعض الحطّابين والمدنيين يقيمون فيها وكان الاخيرون يستثمرون ما هناك من ركاز الحديد و يرسلونهُ الى اصحاب الاكوار المديدة في قرية دوما التي كانت آهلةً وقتئذٍ كما في ايامنا الحاضرة بقوم ذوي جدّ ونشاط واقبال على الصنائع

وفي ذات يوم لما طلع الفجر على الوهاد القريبة من جبل توتح سُمع صوت البوق وانتشر نباح الكلاب وصهيل الخيل واقبل الناس على الذهاب والمجيء بين قريتَي دوما وتوتح منهم الخيّالة وحملة السلاح مع زُمر من الخدَم تسوق عددًا من الكلاب المدرَّبة على الصيد. وكان الخيالة تارةً يتوارون وراء الصخور او جذوع الاشجار وتارةً يسيرون في الشعاب الضيّقة صفاً طويلًا كأنهُ وشاح منشور يبسط على الجبل لباس البهجة والسرور

وكان ذاك اليوم يوم قنص خرج فيه كل من مقدَّم جبيل ومقدَّم البترون. وبما انَّ الطريق في قمة الوادي لم تكن تصلح لسلوك الخيل ترجّل الكلّ عندها ودفعوا افراسهم الى حملة السلاح وتوغّلوا في الشعاب الشاهقة ما بين اشجار الغاب

وكان المقدَّمون واكابر الناحية المدعوين للاشتراك في القنص قد اتوا بجملة سلاحهم وعدد من حشمهم يحملون الصقور والبزاة الضرّاة على مطاردة الوحش ويسوقون الكلاب السلوقيَّة الكبيرة التي كان نباحها يملأ الوادي وبعضهم اتوا ايضاً بالفهد وهو نوع من صغير النمور مبقَّع الجلد مدرَّب خاصَّةً على اقتناص الايائل وكانوا يُردفونهُ مشبوماً على مآخير خيامهم فمتى لاح لهم أيل رفعوا شبامهُ واطلقوه وراء القنيصة التي اذا جدَّ الفهد في مطاردتها وقفاً الصقور عينيها بمناقيرها الحادَّة لا تلبث ان تخور وتضعف

وكان يجري القنص في تلك الايام على الوجه الآتي وهو ان سوّاس الكلاب يتوغلون في الغابات فتسوق كلابهم القنائص امامها الى ناحية القانصين الذين يتناولون القسيَّ من

حملة سلاحهم ويرفعون الكمم الموضوعة على رؤوس الصقور ويشتد نباح الكلاب وتبتدئ معركة الصيد (١

واتفق انهُ قبل اليوم الذي نحن بصدده مرّ في الناحية سرب من اللقلق غير انهُ كان قد بقي في غابة توتج قليل من الطير المذكور اقعده التعب عن اللحاق برفاقه. فلما سمع الصياح طار في الجو مذعوراً واخذ يدوم راساً دوائر كبيرة على حسب عادته. ولكن ما كان غير قليل حتى ابصرتهُ الصقور فخفّت لطاردته

ولما كانت الصقور قد هاجمت اللقالق واحداً لواحد دافعت هذه الاخيرة عن نفسها حقّ الدفاع مدةً طويلة فكانت تارةً تضرب بمناقيرها وتارةً باجنحتها. وكأنّ احد الصقور آنس عدم اقتداره على غلبة خصمه وخاف ان تنجلي المعركة عن وقوعه صريعاً فترك ساحة الوغى وانضمَّ الى اثنين من رفقائه. اما اللقلق فما صدّق ان تخلص من عدوه حتى توارى خلف الغابة غير انّ لقلقاً آخر اخذ يحلّق في الجو صاعداً على خطرٍ مستتمٍ ظاناً انهُ ينجو من هول الموقف ولما كانت الصقور عاجزة عن اللحاق به في ذلك العلوّ الرفيع اقامت تترقّبهُ ريثما ينخفض. وكان مشهد الفريقين المتقاتلين مؤثراً لان كلّاً منهما كان قد امعن في الفضاء حتى كاد يخفى على العين لاختلاط بياضه بزرقة السماء

وكان بعد مرور عشر دقائق ان اللقلق هبط منخفضاً اما لكونه تعب من التدويم في الفلاء او لأنهُ لم يقوَ على استنشاق الهواء بسبب كثرة تمدّده في المنطقة التي وصل اليها فما كادت الصقور تبصرهُ حتى انقضّت عليه تقاتلهُ

وبعد ان جرت بين الفريقين معركة حامية علت فيها اصوات النقارة وقع اللقلق على الارض صريعاً فلتهُ مدرّبو الكلاب وناولوا الصقور قطعة من حشاه ثم حملوا الجثة بانتصار وكان الدم يقطر منها

وما مضى قليل من الزمن حتى لاحت ما بين الاشجار المتجردة عن اوراقها في مثل ذلك الفصل من السنة رؤوس حيوانات تطلب الفرار. وكانت عبارة عن سرب من الايائل والغزلان شرّدتها الكلاب

غير انّ الايائل المسكينة ما كانت تفرّ من عدوٍ حتى تسقط ما بين يدي آخر.

١) السيد محمد المكلي: آداب النائص

هنا تمزّقها انياب الكلاب وهناك مناقير الطيور وسهام القانصين. وكانت الصقور تدوّم فوقها ثم تنقضّ بسرعة البرق على اعناقها فتضربها باجنحتها متعلّقةً بابدانها المتمزّقة ولا تلبث لحة بصر حتى تفقأ عيونها النجلاء بمناقيرها المحدَّدة المنعقفة فكانت البهائم المذكورة تخرّ متجندلةً على الارض دون ان تستطيع قياماً

وبعد ساعة من الزمان انتشرت جثث القنائص في شعاب الغاب وبقاعه وكان بينها ظباء وذئاب وخنازير وحشيّة ووعول وضباع... ولمّا خفّت حركة القنص وخمد أوارها وفد عبد المنعم مقدَّم جبيل فقال لزين مقدَّم البترون:

— اخبرني ساقة الكلاب انهم شاهدوا في قمة الجبل دبّاً كبيرًا

— عليَّ قنصهُ. قال هذا وتناول قوسهُ وسهامهُ وأهاب بكلبه فلحقهُ واخذ يتسلّق الجبل راقياً الى الناحية التي دُلّوهُ عليها. فلمّا رأى منهُ عبد المنعم هذه الحرارة المفرطة لم يقوَ على كتم مسرّته بنجاح حيلته. واما زين فلمّا انتهى الى المحلّ المعيَّن اطلق كلبهُ لتحريش الدب فما كان غير قليل حتى سمع من اقرب جهة اليه زمجرة مخيفة تلاها ظهورُ اسد كبير الجثة(١. ولم يكن زين يتوقّع ملك الوحوش فطارت نفسهُ شعاعاً وفطن انَّ مقدّم جبيل غشّهُ ودبَّر حيلةً لهلاكه. غير انهُ نبذ الخوف والهلع واختار من كنانته احسن النبال فسدَّدها بزيد التأني على قلب الاسد فطارت اليه باسرع من لمح البصر ولم يسمع على اثرها غير زئير مختنق. ثم استلَّ خنجرهُ ووقف ينتظر بقدم راسخة هجوم سيد الضواري لأنهُ كان يظن أنهُ جرحهُ فقط. ولكن السهم كان لإحكام تصويبه قد خرق قلب الاسد خرقاً من ناحية الى اخرى. فلمّا تأكّد زين فوزهُ وانتصارهُ بادر للنزول الى ترتج حيث وجد القنيص مجموعاً هناك تحت الادواح القائمة تجاه كنيسة القرية وعندما وقع بصرهُ على مقدَّم جبيل اكتفى بان قال لهُ: «ارسل رجالك ليأخذوا جثة الدب فقد جعلتهُ قتيلًا لا يستطيع ضررًا»

امّا عبد المنعم فقطن للاشارة ولم يطلب مزيدًا

٢

وكان زين قد أُطلع من نفس منيذ على ما يضمرهُ لهُ من الشرّ والمقاصد الخبيثة وكان بين هذين الاثنين فروق ظاهرة: زين حرّ مستقيم وحازم وشجاع. وعبد المنعم محتال

١) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى — المشرق ١ : ٨٠٥

لا تفوتهُ الشجاعة ولكن شجاعتهُ تشبه شجاعة النمر الذي يزحف ويؤثر مباغتة الفريسة . على ان اخلاص زين للمقدَّم رزق الله ومحافظتهُ على الديانة الكاثوليكية جعلاه مكروهاً عند عبد المنعم الذي لم يكن يبالي بالأقسام التي حنث بها

وكان عبد المنعم يعرف حقَّ معرفة انهُ ما زال مقدَّم البترون حيَّاً فلا سبيل لهُ الى تحقيق مطمعهِ الخبيث اي تنزيل خاله الامير رزق الله عن ولاية الجبل ولهذا كان دائماً يبحث عن حيلة يدبّرها لاهلاك زين . ولمَّا اطَّلع على ما تقاسيهِ راحيـل من المتاعب الميليَّة ظن انهُ يسهل عليه ان يقترن بها ويضمَّ مقدَّمية البترون الى مقدَّميتهِ

وكانت جبيل في قديم الزمان تُسمى بالمدينة المقدسة للإله ادونيس وتمتاز مفتخرة بما تشيَّد فيها من الهياكل والاروقة العظيمة لعبادة الإله الموما اليه (١ غير انها في القرن الخامس عشر تزلت من مقامها السابق لان كلَّ ما فيها من الهياكل والاروقة المذكورة كان قد خرب وانهدم فامتلأت الشوارع بأنقاضهِ التي اتخذ معظمها لبناء رصيف المرفإ او لتشييد ما هنالك من الاستحكامات الضخمة . ولمَّا اضطرَّ الصليبيون الى مغادرة هذه المدينة بعد حصار عنيف كان النصف منهـا تقريباً قد صار خراباً (٢ وانقطعت السفن عن غشيان مينائها لامتلاء معظمهِ ردماً فكانت تؤثر زيارة بيروت وطرابلس (٣ وتقف بعض المرات في مرفئي البترون وانفة (٤

وكان السور والقلعة غاية ما بقي من آثار هذه المدينة ولا يشك احد في ان القلعة اثر عظيم من اعمال الجبابرة القدماء . ولهذا ابى المؤرخون ان ينسبوهُ الى الرومانيين واقل من ذلك الى الصليبيين بل آثروا ان يعزوهُ الى القدماء . من سكان جبيل مشيّدي هيكل سليمان (٥ على ان برجها العظيم كان مما يستوقف الابصار خاصَّةً بارتفاعهِ وضخامتهِ وكان يشرف على مسافة بعيدة في البحر ويطلُّ على جميع السهول المجاورة

وكان مقدم جبيل اذا وقف في البرج المذكور متأملاً في سعة املاكهِ تترنَّح اعطافهُ من الخيلاء والغطرسة وينسى ان ارتقاءهُ الى الولاية كان فضلاً ومنَّةً من خاله الامير رزق الله ويتوهم كما هو شأن النفوس الصلفة انهُ هو باني مجدهِ بيده

١) بنة فينيقية . وردوسو رحلة سوريَّة . المشرق ٣ ٢) صبح الاعشى للقلقشندي
٣) راجع هَيد : تاريخ تجارة الشرق ٤) القلقشندي
٥) الكتاب المقدس

وكان الجميع يتذكرون وقتئذٍ ان أُسرة لامبرياك ملكت ولاية جبيل في ما مضى من الزمان (١ واحتلَّت تلك القلعة الشامخة التي فيها يُقيم الآن عبد المنعم ايوب. ولمَّا اجبرتهم الاحوال على الرحيل بعد هزيمة الصليبيين وتفرَّق شملهم ذهبت الى جزيرة قبرس (٢ فتوطنت فيها. ولم يبقَ منها في لبنان غير فرع واحد وهو الذي تنتمي اليهِ راحيل قرينة مقدَّم البترون (٣. ولمَّا كان عبد المنعم يملك معظم الاملاك التي كانت لهذه الاسرة الشريفة توهَّم انَّ ميراث راحيل يعود اليهِ ايضًا اذا تيسَّر لهُ الاقتران بها

وهل من احد كان يقوى على منعهِ من انجاز منويَّاتهِ المذكورة؟. نعم رجل واحد اعني زينًا مقدَّم البترون المعروف بشجاعتهِ وبسالتهِ. ولكنَّهُ كان يقول في نفسهِ انهُ عند مسيس الحاجة يعرف كيف يبيد هذا المانع الحائل دون سعادتهِ وعظمتهِ. وكان يتوهَّم ان الوسائل الموصِلة الى مقصودهِ سهلة هيِّنة فأخذ يشنع على زين ويظهر معايبهُ ومثالبهُ ولكن لم يلقَ من يسمع لكلامهِ لان الكلَّ كانوا يعرفون لهُ قدره واستقامته

ولما ارسل المقدم زين فرقة من جنودهِ لاحتلال قلعة سمار جبيل المهجورة من زمان طويل اراد عبد المنعم ان يحتج على ذلك مدعيًا بان القلعة لاحقة بمقدمية جبيل. غير ان حقوق المقدم زين في القلعة كانت واضحة ظاهرة لا تحتمل المماراة والمماحكة. فمن ثم عدل عمَّا نوى واخذ يبحث عن وجه آخر

هذا ما كان يخطر في بال عبد المنعم كلما صعد الى قمة قلعة جبيل مسرحًا النظر في املاكهِ فيرى ان فظيعةً واحدة تستطيع ان تخلصهُ من هذا الخصم العنيد. ولا يخفى أَنهُ برهن بما مضى من اخبارهِ ان ليس لهُ ضمير يصدهُ عن ارتكاب الفظائع

اما المقدم زين فلم يكن عارفًا بشيء من مقاصد عبد المنعم وهب انهُ اطلع عليها لم يكن ليهتمَّ بها

## ٣

امَّا راحيل فكانت في قصر البترون تترقَّب بذاهب الصبر عودة قرينها وتتمعَّن في النصائح التي سمعتها من الاب يوحنَّا وتهتمّ في كيفيَّة المحافظة عليها لانها كانت قد آلت ان تتغلَّب على اهوائها وتسير في الطريق التي طلبت هي ان ترتشد اليها

( ستأتي البقيَّة )

---

١) راجع دوكانج: كتاب الأسر ٢) دي ماس لاتري: تاريخ قبرس ٣) المشرق ١

# نبذة

## في ثوب آلام سيدنا يسوع المسيح (الثوب الاحمر)

(لاحد اساتذة مدرسة عينطورا)

لمّا كانت عبادة ثوب آلام سيدنا يسوع المسيح منتشرة في كنيسة الله من امد ليس بقريب وكان جمهور من المؤمنين الشرقيين يرغب في الوقوف على اصلها وعلى الغفرانات المقرودة بها فكرت في تسطير هذه النبذة الوجيزة مضمناً اياها كيفيَّة ابتدائها وانتشارها في الكنيسة الكاثوليكيَّة وملخَّص الغفرانات الملقّة عليها من الاحبار الاعظمين

## في اصل ثوب الآلام

في سنة ١٨٤٦ في اليوم ٢٦ من شهر تموز وهو اليوم الثامن من عيد القديس منصور دي بول تراءى السيد لهُ المجد للاخت ابولين اندريڤو Apolline Andri-veau) (١ احدى راهبات المحبة في كنيستهن بمدينة تروا (Troyes) على حين كانت في الكنيسة مساء واليك ملخَّص ما اخبرت بهِ هي نفسها الاب اتيان وهو عامئذٍ الرئيس العام على جمعيَّتي كهنة الرسالة واخوات المحبَّة قالت:

« حينما كنتُ داخلة الكنيسة قبل زياح القربان المقدس لاح لي انني انظر مخلصنا الالهي ماسكاً بيدهِ اليمنى ثوباً قرمزيّاً معلقاً في شريطتي صوف من اللون نفسهِ وعلى الشقة الواحدة منهُ مرسومة صورة المخلص مصلوباً وباسفل الصليب رسم آلات آلامهِ الاشدّ تبريحاً وايجاعاً كتلك الجلدة التي ضُرب بها في دار بيلاطوس وتلك المطرقة وذلك الثوب الذي كُسي بهِ جسمهُ الملطخ بالدم. وكان مسطراً حول تلك الصورة هذه الكلمات: يا آلام سيدنا يسوع المسيح خلصينا. وعلى الشقَّة الثانية مرسومة صورة قلبي يسوع ومريم الاقدسين يعلوهما صليب كأنهُ خارج من كليهما وحولهما هذه الناقدة:

١) ولدت ابولين المذكورة في سان بورسان من مقاطعة ألّيه (Saint-Pourcin, Allier) في ٧ أيّار سنة ١٨١٠ من والدين تقيّين هما لاونار اندريڤو وابولين كرانجيه (Grangier) ودخلت جميَّة راهبات المحبة سنة ١٨٣٣ وعمرها ٢٣ سنة وانتقلت براحة القداسة سنة ١٨٩٥ في ٢٣ شباط في منتوليو (Montolieu) بعمر ٨٦ سنة

يا قلبي يسوع ومريم احيانا. ثم اردفت: اني منذ ثمانية عشر شهرًا اذ كنت متأملة في آلام سيدي يسوع المسيح خلتني اراهُ مصلوبًا وهو بحالة يُرثى لها معذبًا باوجاع مبرّحة فنظر اليَّ بحب قائلًا: يجب عليك يا ابنتي ان تعزيني في اوجاع آلامي الكليَّة المرارة.. واعلمي انك لا تقدرين ادراك عظم محبّتي الّا بواسطة آلامي. فلدى سماعي هذه الكلمات الالهيَّة من فم المخلص التهب قلبي حبًا وصرت كانني حاملة في نفسي آثار آلامهِ المقدسة حتى عدت لا اعيش لنفسي بل لمن فداني »

وبعد ذلك ظهر السيد لهُ المجد للراهبة المتقدم ذكرها مرارًا وكل مرَّة كانت تراهُ ماسكًا بيدهِ الثوب المذكور الّا انهُ لاسمهِ السجود لم يُظهر لها ارادتهُ بشأنهِ الّا في اليوم ١٤ من ايلول اي في عيد ارتفاع الصليب المقدس سنة ١٨٤٦ اذ تراءى لها وسلّمها هذا الثوب الجديد قائلًا: يا ابنتي كل من يحمل هذا الثوب ينال كلَّ نهار جمعة زيادة ايمان ورجاء ومحبة

امَّا الاب اتيان فلم يعبأ بادئ بدء بما قالت لهُ ابولين محرضًا اياها على الصلاة والابتهال الى الله ان يزيل الصعوبات الشتى التي تحول دون بغيتها لعدم تساهل الكنيسة في تثبيت مثل هذه الامور. امَّا هي فكانت تجيبهُ قائلةً: « يا ابتِ ان من اوحى اليَّ هذا الثوب هو يتكفَّل بازالة الصعوبات وتسهيل كل ما من شأنهِ ان يساعد انتشاره بين المؤمنين وانا متيقّنة ذلك يا ابي كل اليقين ولي امل ان سيدي يسوع المسيح يجعلهُ ينبوع خيرات وبركات فتُغنيه كنيستهُ المقدسة بالغفرانات الجزيلة والانعامات العديدة وتنمو بذلك عبادة آلامهِ المقدسة وتنتعش في النفوس الفضائل المسيحيَّة... وما يعزيني كثيرًا يا ابي ويملأ قلبي فرحًا وعذوبةً هو علمي بان هذا الثوب سيكون كنزًا روحيًا لجمعيَّة الرسالة »

ولم يزل الاب اتيان متردّدًا في هذا الامر مؤجلًا الاهتمام بهِ الى ما شاء الله منتظرًا تدبير العناية الربَّانيَّة حتى تيسر لهُ سنة ١٨٤٧ سفر الى رومية العظمى فحظي بشرف المثول لدى امام الاحبار المخلَّد الذكر الطيب الاثر البابا بيوس التاسع ولاقى منهُ كل رعاية والتفات. فرأى اذ ذاك ان الفرصة مناسبة لمكاشفة الاب الاقدس بهذا الامر ليحكم فيهِ بصفة كونهِ نائب المسيح على الارض. فحالما سمع قداستهُ بذلك تهلّل طربًا ورأى منهُ وسيلة جديدة يستخدمها الله لارتداد الخطأة الى التوبة وخلاص النفوس

ولتوطيد اركان الدين المسيحي في المسكونة كلها. وبعد ان وزن بميزان حكمه المنزه عن الزلل الحوادث السابقة والمرافقة واللاحقة لهذا الظهور العجيب رأى ان اصبع الله هناك وان ما فيه من العلامات الخارقة العادة يجعلهُ خليقًا بالاعتبار جديرًا بالتصديق وللحال اصدر حكمهُ السامي بحقيقة الامر مثبتًا بسلطانه المطلق ثوب الآلام هذا وذلك ببراءة حبريَّة مؤرخة في ٢٥ حزيران سنة ١٨٤٧ معلقًا عليه غفرانات عديدة ومفوضًا كل كاهن من كهنة جمعيَّة الرسالة المعروفة باللعازريَّة ان يباركهُ ويشرك فيه المؤمنين. ثم في سنة ١٨٥٣ مدَّد هذا التفويض بناء على التماس الاب اتيان الى كل كاهن علمانيًا كان او قانونيًا يطلب ذلك من حضرة رئيس عام الآباء اللعازريين ومنذ ذلك اخذت هذه العبادة الجليلة تمتدُّ وتنتشر في الكنيسة في العالم كلهِ مثمرة في النفوس المسيحيَّة اشهى ثمار الفضائل ومقبلةً بها الى مناهج الكمال

## في الغفرانات المعلَّقة على ثوب الآلام

اولاً غفران كامل ممنوح من قداسة البابا بيوس التاسع بموجب براءة رسولية مؤرخة في ٢١ اذار سنة ١٨٤٨ يمكن ربحهُ لكل المشتركين في هذا الثوب كل نهار جمعة بشرط الندامة الحقيقيَّة على الخطايا والاعتراف بها وتناول القربان المقدس والتأمل في آلام سيدنا يسوع المسيح والصلاة لاجل اتفاق الملوك المسيحيين وملاشاة الارطقات وارتفاع شأن الكنيسة المقدسة. وهذا الغفران نفسهُ يمكن ايضًا ربحهُ بالشروط المتقدمة كلَّ نهار احد اذا تعذر تتميم الشروط المتقدمة نهار الجمعة وذلك بموجب براءة صادرة من الحبر الاعظم المتقدم الذكر في ١٣ ايلول سنة ١٨٥٠

ثانيًا غفران كامل للمشتركين يمكنهم ربحهُ يوم اشتراكهم بشرط الاعتراف والتناول وزيارة كنيسةٍ ما والصلاة على نيَّة الحبر الاعظم

ثالثًا غفران كامل للمشتركين عند ساعة الموت بشرط الاستعداد لتتميم الشروط الآتية والتلفظ باسم يسوع المسجود لهُ بعبادة وورع

رابعًا غفران سبع سنين وسبع اربعينات كل نهار جمعة لمن يتناول من المشتركين ويصلي ٥ مرات الصلاة الربيَّة والسلام الملاكي والمجد متأملًا بآلام المسيح

خامسًا غفران ثلث سنين وثلث اربعينات للمشتركين الذين يتأملون بانسحاق القلب في آلام يسوع مقدار نصف ساعة في اي يوم كان من ايام السنة

سادسًا غفران مائتي يوم للمشتركين كلَّ مرة يتلون بعبادة هذه النافذة: نسألك يا يسوع ان تعين عبيدك الذين افتديتهم بدمك الكريم (١

١) وهذه صورة بركة ثوب الآلام وكيفيَّة وضعهِ :

(تنبيه) يجب على الطالب الاشتراك في الثوب الاحمر ان يجثو على ركبتيهِ امام الكاهن اللابس

# وصيّة فيثاغورس الذهبيّة

## نبذة تولى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

### توطئة

انَّ بين المآثر الجليلة التي خلفها جهابذة الفلاسفة من اليونان كتاب صغير الحجم لا يتجاوز وُرَيقات قليلة يدعى « نشيد فيثاغورس الذهبيّ » وهو عبارة عن قصيدة من البحر اليوناني المسدّس الاجزاء يبلغ عدد اياتها واحدًا وسبعين بيتًا تتضمَّن بمختصر الكلام تعاليم فيثاغورس ومبادئهُ الفلسفيَّة. وقد زعم كثيرون انَّ هذه القصيدة ألَّفها فيثاغورس نفسهُ وجعلها كدستور يجد فيهِ تلامذتهُ ملخص فلسفتهِ وذلك في بدء القرن الخامس قبل المسيح. الَّا ان اصحاب النقد وارباب البحث تحقَّقوا اليوم ان هذه القصيدة ليست لفيثاغورس بل للفيلسوف ليزيس (Lysis) الذي عاش بعد فيثاغورس بزمن قليل وذلك استنادًا الى قول احد قدماء كتبة اليونانيين ديوجينيس من لابِرتة (Diogène de Laerte) في كتاب تاريخهِ الثامن (ع ٥ – ٧). وقد شاعت هذه القصيدة بين الفيثاغوريين حتَّى انهم علَّقوا عليها التعاليق وشرحوها شرحًا مستوفيًا. وقد اشتهر تفسير الفيلسوف

---

الكتونة (الدرع) والبطرشيل الاحمر فيبتدئ الكاهن قائلًا:

(ك) معونتنا باسم الرب (ج) الصانع السماء والارض = (ك) الرب معكم (ج) ومع روحك ايضًا

(صلاة) يا سيدنا يسوع المسيح الذي تنازل ولبس ضعف طبيعتنا المائتة وتصاغر متخذًا صورة العبد واطاع حتَّى الموت موت الصليب نسأل جودك وصلاحك باتضاع ان تتنازل وتبارك + هذا الثوب المصنوع ذكرًا لآلامك الكليَّة المرارة واكرامًا لقلبك الاقدس وقلب والدتك الكلي الحزن والبري من الخطيئة الاصلية طالبين الى حنوك ان تمنح لابسيهِ نعمة التأمُّل الدائم باسرار آلامك المقدَّسة فيستحق عبدك هذا (او امتك هذه) لابس هذا الثوب ان يلبسك. نسألك ذلك باستحقاقاتك وبشفاعة والدتك مريم الكليَّة الطوبى انت الذي تحيا وتملك الى دهر الداهرين آمين

(ثم يرشّ الثوب بالماء المبارك واضعًا ايَّاهُ في عنق المشترك قائلًا):

خذ ايها الاخ العزيز هذا الثوب المبارك لكي تنزع عنك الانسان العتيق وتلبس الانسان الجديد فاحملهُ بامانة وعبادة لكي تنال الحياة المؤبدة باستحقاق سيدنا يسوع المسيح امين

(ثم يقول): وانا بالسلطان المعطى لي اقبلك في شركة جميع الخيرات الروحية الممنوحة من الكرسي الرسولي المقدس لجمعيَّة كهنة الرسالة باسم الاب + والابن + والروح القدس + امين

(ثم تتلى هذه النافذة ثلث مرَّات): نسألك يا يسوع ان تعين عبيدك الذي افتديتهم بدمك الكريم

(تنبيه) لا يشترط لثوب الآلام تدوين اسماء المشتركين خلافًا لما توهَّم البعض

الفيثاغوري هيروكليس المتوفّى سنة ٤٧٠ للميلاد. وقد طُبع المتن اليوناني مع الشرح مرارًا تجدهما كليهما في مجموع فلاسفة اليونان طبعة فرمين ديدو (١

وقد عرف العرب هذه القصيدة ونقلوها الى لغتهم. ومن جملة الكتب التي ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون (طبعة لندرة ٥ : ١٦٦): «كتاب في وصايا فيثاغورس لابي العبّاس احمد بن محمّد السرخسي المتوفّى سنة ٢٨٥ (٨٩٩)» والمرجَّح ان الحاج خليفة اراد الكتاب الذي نحن بصدده بيد انّ هذه الترجمة قد اخذتها يد الضياع. ولابن مسكويه ترجمة أُخرى كان وقف عليها حنّا أَلِخمان (J. Elichmann) فطبعها سنة ١٦٤٠ في ليدن مع نبذة اخرى فلسفيّة تدعى بلنز قابس. وكان المذكور نقلها عن كتاب جاودان خرد المصون في خزانة كتب ليدن وفيهِ مجموع حِكم من آداب العرب والفرس والروس والهند لم يطبع منها الكتاب سوى هاتَين النبذتين. الّا ان طبعتهُ المذكورة قد نفدت منذ زمن مديد لم يمكنّا الاطّلاع عليها. وقد اسعدنا الحظ ان نجد المجموع نفسهُ في خزانة الكتب الواتيكانيّة مخطوطًا سنة ٩٢٨ هـ (١٠٢٢م) فاستنسخناهُ لمكتبتا الشرقية ولعلَّنا ننشر منهُ بعض طرائفهِ. وانما نكتفي اليوم بنشر وصايا فيثاغورس. وابن مسكويه مترجمها احد مشاهير النقلة من اللغات الاجنبية واسمهُ ابو علي احمد بن محمد بن مسكويه (٢ توفي سنة ٤٢١ (١٠٣٠م) ومن كتبهِ النفيسة كتاب تهذيب الاخلاق الذي طُبع مرارًا في مصر. وقد قابلنا هذه الوصايا الذهبية مع اصلها اليوناني فوجدناها مطابقةً لهُ في الغالب لا تحيد عنهُ الّا قليلًا. ولعلَّ هذا الفرق يأتي من اختلاف الروايات الاصليّة

## وصيّة فيثاغورس المعروفة بالذهبية

### وهي التي يقول جالينوس انهُ يقرأها كلَّ يوم غدوةً وعشيةً

قال فيثاغورس: اول ما اوصيك بهِ بعد تقوى الله عزَّ وجلَّ (٣ تبجيل الذين لا يحلُّ بهم الموت من الله واوليائهِ (٤ واكرامهم بما توجبهُ الشريعة وتوقّ (٥ اليمين. ثمَّ أُوصيك بامتثال ذلك في خدمة الباصرين في مذاهبهم (٦. وأُوصيك ايضًا بتبجيل عُمَّار الارض (٧ فتفعل ما توجبهُ عليك الشريعة في اكرامهم. واوصيك باكرام سلَفك واقربائك واوصيك ان تتَّخذ من سائر الناس افضلهم صديقًا (٨ ليكون صديقًا في الفضيلة وان تُلين لهُ جانبك في الفعال ما اداهُ ذلك الى المنفعة ولا تستفسد صديقًا لهفوة تكون منهُ

(١ Fragmenta philosophornm græcorum, *Firmin Didot*, Paris. 1890 pp. 192 et 408

(٢ وقد وهم ڤنريخ (Wenrich) بقولهِ (ص ٨٧) انَّ السرخسيَّ هو ابن مسكويهِ وبين كليهما زمنٌ مديد

(٣ الكلام في الاصل عن آلهة المشركين

(٤ لعلهُ يريد الملائكة واولياء الله الذين نُقلوا الى دار الخلد

(٥ ولعلَّها «توفَّ» اي فِ بيمينك لله

(٦ هذا معناهُ كما يؤخذ من النصّ اليوناني: واكرم ايضًا ذوي العقول السامية والهمم الشريفة

(٧ عُمَّار الارض هم الذين يسعون في اصلاح شؤونها

(٨ ولعلَّها «صدقًا»

ما امكنك. على انّ الامكان قريب من الضرورة (١ فهذا اول ما ينبغي ان تسمعهُ

ثمّ ينبغي ان تتعوَّد ضبط نفسك على هذه الاشياء التي انا ذاكرها لك اولها امر بطنك وفرجك والغضب والنوم. واحذر ان ترتكب قبيحًا في وقتٍ من الاوقات على خلوة(٢ ولا مع غيرك. وليكن استحياؤك من نفسك اكثر من استحيائك من كل احد. ثم ينبغي لك ان يلزم نفسك الانصاف في كلامك وفعالك. ولا تحملنّ نفسك على ارتكاب امر من الامور بلا تمييز بل إعلم انّ الموت حالٌ بجميع الناس لا محالة. وامّا المال فليكن قصدك فيه اكتسابهُ من حلالٍ واتلافهُ في حلالٍ(٣. وما قد ينال من الاشياء المؤذية بالاسباب السمائيّة فاصبر على ما ينوبك منها من غير ان تتندم بل تروم مداراتها بقدر طاقتك

وينبغي لك ان تعلم انّ ما ينوب الاخيار من الناس في هذه الامور ليس بالكبير. فاذا سمعت من كلام الناس جيدةً او رديئةً فلا تتعض منهُ ولا تحملنَّك نفسك على الامتناع من استماعهِ. وان سمعت كذبًا فهوّن على نفسك الصبرَ عليهِ. وما انا قائلهُ فأجر امرك عليهِ في كل ما تستعملهُ لا يحملنَّك احد بكلام ولا بفعل على ان تفعل ما ليس بجميل ولا ان تتفوَّه بهِ. وتروَّ قبل الفعل كيما لا تُغلب في فعلك واحذر ان تقول او تفعل ما يُستجهل منك بل انَّما ينبغي ان تقتصر فيما تفعلهُ على ما لم يَعدْ بالضرر عليك ولا تفعلنَّ فعلًا وانت جاهلٌ بهِ بل تعرَّف في كل حال وفي كلّ واحد من الافعال ما يجب ان تفعلهُ فانك حينئذٍ تُسرّ بمعاشك

ولا ينبغي لك ان تهمل امر صحّة بدنك لكن تُعنى بالطعام والشراب والقصد فيهما وباصناف الرياضة. وانما عُني بالقصد ما لم يضرّ. وعوّد نفسك ان يكون تدبيرك تدبيرًا نقيًّا غير مسرف(٤ بمنزلة من لا خبرة لهُ بما في يديهِ. ولا تكن ايضًا شحيحًا فتخرج عن الحريّة بل الافضل في الامور كلها هو القَصْد فيها وليكن ما تفعلهُ ما لا يعود بالضرر عليك. فاستعمل الفكر قبل العمل

ولا تساعد عينَك على النوم قبل ان تتصفَّح كل واحد من الافعال التي فعلتها في

---

١) شرحها هيروكليس فقال: يريد ان الضرورة تزيد قوَّة ارادتنا فتجعل ممكنًا ما كنَّا نظنُّهُ غير ممكن. ٢) وفي كتاب طبقات الاطبَّاء لابن ابي أُصيبعة (ص٤١): ان تركب قبيحًا من الامر لا في خلوةٍ ٣) ويروى: اكتسابهُ في حالٍ واتلافهُ في حالٍ

٤) ويروى: ولا تكن متلافًا

نهارك أجمع فتقف قبل نومك في المواضع التي تجاوزت فيها ما ينبغي ان تفعلهُ فلم تفعلهُ وابدأ في ذلك من اول ما فعلتهُ واجرِ في تفقّدك لذلك الى آخر ما فعلتهُ. فمتى كنت قد فعلتَ مكروهاً فليذعرنّك ومتى كنت قد اتيت رضىً فليُبهِجنّك فعلى هذا فليكن حرصك وفيهِ دؤوبك واليهِ فاصرف همتك فانها توطّئ لك ما يرقيك الى الفضيلة الالهيَّة إي والذي وجب لانفسنا الينبوع ذا الاربع من الطبيعة التي لا تفتُر (١

ومتى التمستَ فملًا من الافعال فابدأ بالابتهال الى ربّك بالنجح فيهِ فانك اذا لزمت ذلك ولم تخالف هذه الوصايا وقفت على كُنه ما يجري عليهِ الامر في تدبير الله عزَّ وجل اولياءهُ. وفينا معشر الناس. ما منهُ زائل في الواحد بعد الواحد وما منهُ ثابت. وعلمتَ ما قُدّر من مجرى الطبيعة كل شيء على مثال واحد كيما لا ترجو ما لا يُرجى. وعلمتَ ان الناس بشقاء جدّهم الذي اختاروهُ لانفسهم بارادتهم في حدّ من يُرثى لهم اذا كانوا مشرفين على الخيرات وهم لا يفقون عليها ولا يتفقدون انفسهم فيما بُلوا بهِ فان الشاذّ من الناس يتهيَّأ لهُ استنقاذ نفسهِ من الشرور وان ما بُلوا بهِ من ذلك هو الذي يقدح في قلوبهم واذهانهم فهم يتقلّبون في الشرّ بمنزلة ماء قد خرج في الازقّة المختلفة الى آفاتٍ مختلفةٍ فيقعون في شرور لا احصاء لها وذلك ان الامر اللازم للطبيعة خبثةٌ نكداً وهو لا يشعر وقد ينبغي ان لا يباعد بل يهرب منهُ باظهار الاستخذاء لهُ

ايها الاب الواهب الحياة حقًّا اقول انك القادر ان تدفع عنهم بلايا كثيرة ان اظهرت لهم السكينة التي جعلتها فيهم. لكنك ايها الانسان ينبغي ان تتشجَّع اذا كان في الناس جنس إلهي فالطبيعة الالهيَّة تقودهُ الى الوقوف على كل واحدٍ من الاشياء التي نلت منها حظًّا من الحظوظ ولزمت ما أُشير بهِ عليك وشفيت نفسك من هذه الاوصاب والاضغاث نجوت سالمًا. ولكن اشبع من هذه الاطعمة التي ذكرتها واجعل امتحانك لها تزكية النفس وتخلية اسرها من حسدها وخبّر الناس بما تقف عليهِ في واحدٍ واحدٍ من ذلك. واجعل القسم المشرف على ذلك التمييز الصحيح فانك عند ذلك اذا فارقت هذا البدن حتى تصير مخلّدًا يكون عند ذلك سانحًا غير عائد الى الانوسة ولا قابل الموت. تمّت وصايا فيثاغورس والحمد لله حقّ حمدهِ

١) هذا قسمٌ اعتادهُ تلامذة فيثاغورس وهي أيمانهم المثلَّثة. وكانوا يعظّمون عدد الاربعة ويعدُّونهُ عددًا كاملًا واصل كلّ كمال

# الاسير والفراشة

بقلم الاديب اسكندر طحيني احد اعضاء الحفل الادبي في كلية القديس يوسف

. . . . . . . . . . .

وكان الاسير راقدًا على الحضيض في ظلمة سجنهِ الهائل متكئًا على قطعة عمود من رخام قد اسودَّت من لمس يديهِ وهو يشخص بعينيهِ المغرورقتين بالدموع نحو كوَّة تنبعث منها بعض اشعَّة نور ضئيلة ويردّد هذه الكلمات: «سيعلم الذين ظلموا ايَّ مُنقلبٍ ينقلبون»

واذا بفراشةٍ دخلت عليهِ بغتة من تلك الكوَّة واخذت تحوم فوق رأسهِ مرفرفةً باجنحتها الذهبيَّة وتدوّم حول عمامتهِ السوداء كأنها تطلب تعزيتهُ في بؤسهِ واحزانهِ. فجاشت حينئذٍ اشجان الاسير وهطلت دموعهُ على خدَّيه مبلّلةً وجههُ الاغبر ولحيتهُ البيضاء. فانشأ يخاطبها ويقول:

حليفةَ النور من أتاكِ في القتَمِ
أنيسةَ الزهر ما تبغينَ في الرِّيَمِ
هل جئتِ ترثين منيًا اخا سقمٍ
ظهرتِ في صورة الاقبال والنِّعَمِ
كنور نجم بدا في حندس الظُّلَمِ
لمَّا اتيتِ ازلتِ الهمَّ والشجنا
من بعد يأسي رجاني في الخلاص دنا
قد كنتُ غصنًا ذوى بتسطرُّ المزُنا
بل كنتُ كالميت في الظلماء قد دُفنا
فعادت الروح ثمَّت انعشت هِمَمي

ثمَّ حدّق الاسير الى الفراشة فرآها ترفرف فقال:

ما لي اراكِ على ذا السور حائمةً
وبين ظلمتهِ تسعين هائمةً
كأنني بكِ زهرَ الحقل رائمةً
واحسرتاهُ فانتِ لست غانمةً
غير الكآبةِ والحرمانِ والألَمِ

حينئذٍ اتت الفراشة واستقرَّت على قيودهِ ملوّحةً بجناحيهــا البهيَّين تلويحًا بطيئًا فجعل الاسير يتأمل فيها ثمَّ انشد:

لستِ بنافرةٍ عن غلّ ذي كَمَدِ
فأنسكِ البلسمُ الشافي على كبدي
حلّي قيودي فقد هُدَّت قوى جسدي
وأعملي بنجاتي اليوم لا لغدِ
قد ضقتُ ذرعًا بحمل الضيمِ والتُّهَمِ
قد كنت مثلي بسجن الهمّ والكدرِ
في بطن . فيلجةٍ محرومةَ البصرِ

واليوم افاتز من اسر ومن خطر  فتسرحين بوسط الروض والزهر
روياك ينبثني بالخير والنعم
ناشدتك الله هبي واذهبي سحرًا  أهدي سلامًا الى احبابنا عطرًا
واخبرهم بأنَّ القلب قد فُطِرا  وسال دمعي على الخدين منهمرًا
اذ ليس خلٌّ ينجيني من النقم

قال الاسير هذا وخرَّ مغشيًا عليه فذُعرت الفراشة واخذت ترفرف حول رأسه ترفرفًا بطيئًا كانها حزينة لسوء حظ هـذا المسكين واتت واستقرَّت على يده الجرداء ناظرةً بعينيهـا الزرقاوين الى رأسه المنحني ووجهه الشاحب اللون واذا بالشيخ انتصب واقفًا على الأقدام فارتعشت الفراشة وطارت واستقرَّت على كوز مائه فانشـد الشيخ يقول :

مَن لي برشف الهنا من كأسه الذهبي  حتى ابرّد ما بالقلب من لهب
يا ساقيَ الزن دُر في الرغد والطرب  وأسقني خمرةً من دنّك العَذِبِ
قد طال حزني وسجني زاد في غمّي
كم بتُّ ارصد نجم السعد يرمقني  والطرف لم يكتحل من لذَّة الوسن
والنائبات الدوادي انحلت بدني  وجرَّعتني البلايا سُؤرةَ الحزن

لكنَّهُ لم يقوَ على اتمام الشطر الاخير بل اخذت الزفرات تتصعَّـد من صدره حتى قطعت صوتهُ وارخت عزائمُهُ فجلس على حجره وهو يبكي احرَّ بكاء حتى جرت عبراتهُ كالزن مدرارًا ثمَّ انشد :

وصيَّرتني أليفَ البؤس كالعدم
خارت قواي وجند الصبر قد نفرتْ  عني بعيدًا واسبابُ الرجا قصُرتْ
وكدت اقضي جوًى والنفس قد هجرتْ  جسمًا ذوى وعظامي بالأسى نُخِرتْ
كأنّما نشبَت بي أسهمُ الرقمِ

ثم انهُ اطرق برأسه الى الارض وهو لا يعي لشدَّة الافكار المتراكمة عليـه ثم رفع عينيه ورأسهُ الى السماء واخذ ينشد ويقول وهو على آخر رمق :

مولاي كم شتّـتَ نادى برأفتكم  وكم سقيم شفاهُ اسُ راحتكمْ
لقد سمَت في الورى أعمال رحمتكمْ  وأوضحت في الدجى أنوار طلعتكم
جودوا بنصر بهِ احيا من العَدَمِ

قال هـذا وسقط على الحضيض لا حراك بهِ فذُعرت الفراشة وعادت ترفرف فوقهُ حزينة كئيبة ولكنَّها يا للعجب العجاب . ما عتمت ان ابصرت بجانبهـا فراشة اخرى

مكتسية بهاء وجمالًا لها جناحان ارقّ وألطف من النسيم . . . فما تفرّست بها الّا ودنت منها وعلائم البشر والفرح تحقق على جناحيها واعتنقتها فرحةً وصعدت بها من ذلك السجن نحو الكوة واخرجتهـا من ديجور الظلام وغياهب التعاسة والذلّ الى حدائق النعيم وصفاء العيش الرغيد

حينئذٍ سُمع وقع اقدام في الدهليز المتدّ امام باب السجن وجلاجل القفل وفُتح الباب ودخل السجّان ليتفقّد حالة الاسير فتفرّس به وجسّهُ ورفع رأسهُ وقال: لقد مات لقد مات

. . . . . . . . . . . . . . . .

نعم لقد مات الانسان الاول. لقد لفظت بهِ الدنيا بعد ما كان يخوض في غمرة الجهالة يعوم في بحر الغواية . . لقد مات بالجسد ليحيا بالروح . . . خرجت الفراشة النصرانيّة ببهائها ونضارتها من فيلجة الدودة الوثنية. كانت الانسانيّة كدودة تتسكّع في غياهب الظلام والجهل حانية جيدها تحت وقر الخطيئـة تبكي لعزّها الغابر منتظرة الامل الموعود لا يعزّيها ولا يفرحها شي. قائمة مقام البائس القنوط تبصر الهُدى ولا تقوى على ادراكهِ

ارجو الحبيب ولا امیل لغیرهِ هیهات ان القلب فیــهِ جریح

من اعلى كوّة سمائها هبطت عليها فراشة النور الازلي. كسرت بجناحيها اللطيفتين قيودها وغسلت عنها الحوبة بالتوبة فاضاءت في حنادس الكآبة مطالع السعد واشرقت في سماء القلوب كواكب الاقبال تفرّت اغساق الضلال بطوالع النور وانتقلت القلوب من وحشة الاحزان الى انس المسرّة والحبور. فتقشّعت غيوم الاضاليـل وتكشفت حُجُب الاباطيل. أُعتق الانسان من ظلمة الاسر ظهر مخاص الكل من المطلع القبري مبرقعاً بالنور ومتسربلًا بالمجـد والفخار. نشل الدودة الوثنيّة من ثوب اوثانها الدنس وكساها ثوب الفراشة النصرانيّة ثوب البر والكمال. رفعها عن الارضيّات ليسكنها جنات السموات . . . حينئذٍ اتى ابليس متفقدًا سجينهُ الذي كان قد كبّلهُ باغلال الخطيئـة ورماهُ في حبائل العصيان وجسّهُ وصرخ نحو السماء قائلًا: لقد افلت السّجين وحبطت آمال الجحيم

# الميكروب

## تاريخهُ واحوالهُ

بقلم الدكتور الياس افندي الحاج احد المعاونين في مستشفى التولد الافرنسي

قد دخل الطب في طور جديد مذ تحقق العلماء وجود عالم مجهول من الأحياء او الجراثيم الدقيقة التي لم تخطر على بال الاقدمين حتى قام ذلك العلامة البارع والكيموي الشهير الافرنسي لويس باستور ووجّه انظار العالم الى مشاهد تذهل عقول المعتبرين واشار الى مظاهر تعظّم قدرة رب العالمين

١ تاريخ الميكروب

الّا ان باستور مع ما لهُ من الفضل في تعريف الميكروب ليس هو اول من سبق الى اكتشافه. وقد مرَّ في المشرق (٢ : ٦٠٠) انَّ اليسوعي الشهير الاب اثناس كيرخر وصف ميكروب الطاعون وصفاً غريباً سنة ١٦٥٨ واثبت ان علّتهُ « ذرَّات صغيرة حيَّة... وانَّ هذه الحيوَّيات غاية في الدقَّة حتى انَّ البصر لا يدركها البتة ما لم يستعن بمجهر حسن يكبّرها »

وفي سنة ١٧٢٣ اتخذ الدكتور الهولندي لوونهويك (Lewenhoeck) العدسات الزجاجيَّة ففحص بها المياه والُنقايات النباتيَّة فوجد فيها اجساماً آليةً حيَّةً في حجم الهباء وذرَّات الرمل وهي مختلفة الاشكال. فاستدلَّ بذلك على انَّ بين فساد الماء وهذه الآليَّات علاقةً. ثمَّ واصل ابحاثهُ فوجد من هذه الدقائق ما لا يحصى في امعاء الهوامّ والدجاج والضفادع وافرازات ابن آدم. ولحظ ان تلك الاجسام تزيد أيَّامَ الهيضة لكنَّهُ لم يدرِ انها علّة الهيضة. وانما ارتأى العلامة لينّاي (Linné) انها من اسباب العدوى في الامراض الوبائيَّة على انَّ رأيه كان حدساً بلا بيّنة مقنعة

وهذه الاكتشافات الجليلة لم يكترث لها وتشذ معاصرو لوونهويك ولم ينتج عنها فائدة عمليَّة. وبقيت هذه الاختبارات في نقطتها لان المجهرات وهي العدسات المركَّبة لم تُكتشف بعد. فلمَّا شاعت المجهرات عاد الطبيعيّ اوتو فردريك مولر سنة ١٧٧٤ الى البحث عن الاجسام التي اكتشفها قبلهُ لوونهويك وبيَّن صفاتها وقسمها الى اقسام ممتازة

ثم قام بعده إهرنبرج (Ehrenberg) وتوسّل بنظّارات اقوى من السابقة الى تعريف هذه الآليّات وقسمها الى اربعة اقسام. وتقفّى آثاره دو جاردين الفرنسوي سنة ١٨٤١ الّا انهُ آثر تقسيمها الى ثلاثة

ومن الاوهام الشائعة في ذلك الوقت بين العلماء انّ هذه الدقائق حُيَيوِنات (animalcules) لها الحسّ فضلًا عن الحياة النباتيّة. ولمّا كانوا يجدونها بكثرة في المياه زعموا انها تتولد من ذاتها لا من حي سابق يُنسلها وانّ المياه الفاسدة تسببها مع انّ الصواب انها هي التي تُفسد المياه. وسنبيّن كيف دحض العلامة باستور رأيهم

وفي سنة ١٨٥٠ وجد العالمان داڤن (Davaine) ورويار (Royer) في دم خرفان أُصيبت بداء الطحال نقاعيات صغيرة على شكل عُصَيّات. فكانت كلّ هذه الاختبارات كتوطئة مهدت الطريق لذلك العقل السامي والعلامة المبرّز باستور ابي هذا الاكتشاف العجيب الذي افاد العلوم جمعاء بل الصنائع والمعامل بمختبراته فترى الاطبّاء واصحاب الحرير ومستحضري المشروبات كالجعة (البيرا) واللبن والكفير وغير ذلك لا يستغنون عن معرفة اكتشافاته وطرائقه الاختباريّة. فانّ هذا الرجل الشهير مذ بيّن ان حموضة اللبن مسبَّبة من دخول الميكروب فيه عمّم هذه القضيّة واطلقها على كل الاختمارات فاثبت انّ لكل تدرُّن ولكل اختمار جسمًا حيًّا يأتيه من الخارج وان المياه والسوائل لا تولّد من ذاتها هذه الاجسام بل بعكس ذلك لا يكن الاختمار والتعفُّن دون ان يسري الى هذه الموائع جراثيم خارجة عنها

فكان لهذا الاكتشاف دويّ عظيم بين العلماء. فعاد سنة ١٨٦٣ الكيماويّان داڤن ورويار الى فحص دم الخراف المصابة بداء الطحال والعصيّات الموجودة فيه فتحقّقا انها هي سبب تلك العلّة

وفي سنة ١٨٦٩ اظهر باستور ان مرضين من امراض دود الحرير وهما مرض التحرّق (pébrine) ومرض الذبول (flacherie) تجلبهما الجراثيم الميكروبيّة وانهما ينتقلان بالعدوى

وهو اول اكتشاف بيّن فيه باستور سريان العدوى بواسطة الميكروب نهج بهِ الطريق الى بيان انتقال الادواء الوبائيّة عمومًا بهذا التسري. وممّا تقرّر وتنذر ان العدوى لا قوّة لها في اجسام من ليس لهم استعداد لقبول الداء. وانّ هذا الاستعداد يختلف

مع الزمان والمكان والوراثة وقد تقرَّر اليوم ان العدوى لا تنشو الَّا باستيفاء كل هذه الشروط وان الميكروب لا فعل لهُ ما لم يكن للجسم قابلًا لتربيتهِ

وفي سنة ١٨٧٢ توصَّل المختبران كوز (Cose) وفلتز (Feltz) الى تعليل المرض المعروف بفساد الدم (septicimie) وبيَّنا انهُ مسبَّب من استيلاء الميكروب عليهِ وايَّدا بذلك قول باستور

ثمَّ شاع حكم باستور وتعقَّب آثارهُ كثيرون من الاطباء والعلماء لاسيما في فرنسة والمانية وروسيَّة نخصُّ منهم بالذكر شوڤو (Chauveau) وكورنيل (Cornil) وشمبرلند ورو (Roux) ويرسين وميتشنيكوف (Metchnikoff) وكوخ وكلبس (Klebs) وفلوغ (Flugge) ولوفلر (Loeffler)

٣ مقام الميكروب في سلَّم الاحياء

كان غلب على ظن الاطبَّاء الاوَّلين الذين عاينوا الميكروب ان هذه الاجسام حُيَيونات واستندوا لبيان زعمهم الى الحركات التي وجدوها فيها وكانوا يرتأُون ان الحركة من خواصّ الحيوان. ودام وهمهم حتى تصدَّى لهُ العلامة داڤن وبيَّن سنة ١٨٦٤ انَّ العُصيَّات التي وجدها في طحال الخراف الموبوءة انَّما هي نباتات من جنس الطُّحلب وان اكثرها لا حراك لهُ واذا تحرَّك بعضها فليست حركتهُ دليلًا على حيوانيَّتهِ. فانحاز العلماء الى هذا الرأي وهو اليوم قد عمَّم ارباب المعارف الميكروبيَّة. بيد انَّ منهم من يرجح كون هذه الجراثيم اقرب الى الفطر منها الى الطحلب. ولكلا القولين ادلَّة لا نرى فائدة كبرى في بيانها وانَّما الثابت ان الميكروب نبات لا حيوان وقد دُعي بذلك لانهُ من صغير الأحياء. (μικρὸς βίος) ومن دعاهُ باشلُوس اخذ لفظهُ من اللاتينيَّة (bacillus) اي عصيَّة

هذا ولا بدَّ من تلافي وهمٍ يمكن شيوعهُ بين بعض القرَّاء وهو انهُ ليس كل جسم غريب وُجد بجسم الانسان واولد فيهِ المرض ميكروبًا لانَّ بعض الامراض تنشأُ ايضًا من حيوانات تدخل في الجسم مثال ذلك الحمَّى الدوريَّة التي سببها حيوان صغير يدعى «هماتوزوار» اي حيوان الدم اكتشفهُ الدكتور لاڤران (Laveran) ومثلها الدوسنطاريَّة التي يسبّبها جسمٌ آلي وحيوان غاية في الصغر من فرع البروتوزوار سمَّوهُ اميباو المستعمر (amibeo du Colon). وخلاصة القول ان ليس كل جسم تراهُ العين بالمجهر ميكروبًا

ولو كان يُقاس فعل الميكروب بالنسبة الى جرمهِ لكان فعلهُ لا يُعبأ بهِ لانَّ الواحد منهُ اذا قيس لا يتجاوز جزءا من الف الالف من المتر واكبرها يبلغ عشرة اجزاء من الف الملمتر (ويعبّرون عن ذلك بالحرف اليوناني μ). الَّا ان فعلهُ أكبر من جرمهِ. ورب صغير حقير اتى باعمال لا يأتيها الجبَّار الخطير. ولو لم نجد حجَّة لتأييد قولنا سوى الميكروب لكفى فانَّ هذه الاجسام الدقيقة التي لا تنظرها العين الَّا بالنظَّارة المكبّرة واقفة لنا بالمرصاد واذا تسلطت على احد اعاذهُ الله من شرّها

٣. تولّد الميكروب

فلنرجع الان الى قضيَّة ذات شأن طالما خَفيت على ارباب العلم حتى انقشع عنها سحاب الضلال. كان ائمَّة العلماء اذا فحصوا المياه الصافية ووجدوا بعد قليل ما يظهر فيها من الجراثيم بسرعة غريبة وكثيَّة مذهلة يزعمون انَّ هذه الآليَّات تتولَّد من نفسها دون اصل سابق وان منها تنبعث الديدان والحشرات

ومن اقاويلهم الغريبة انَّ الموادَّ الازوتيَّة الموجودة في النبات اذا انحلَّت وفسدت يبقى فيها بعض القوَّة فان صادفت تربةً ملائمة لها عاد اليها تركيبها بهيئتها الاولى. كذا ارتأى علماء افاضل ذوو شهرة كسبلنزاني (Spallanzani) وجولي (Joly) وتريكول (Trécul) و بوكته (Pouctet). الَّا ان باستور قاومهم جميعًا ونقض حججهم وأيد قولهُ باختبارات لا سبيل الى انكارها فبلغ الى هذه القضايا الثلاث التي دخلت من بعدهِ بين المبادئ المقرَّرة: ١ اذا أُعقِمَت السوائل بحيث لم يبقَ فيها حيٌّ ثمَّ منعتَ عنها الاوساخ التي يحملها اليها الهواء بقيت خاليةً من الجراثيم الميكروبيَّة الى ما شاء الله. ٢ انَّ الرياح وحدها بما تنشرهُ من الغبار تنشئ الميكروبات. ٣ ان الهواء العقيم لا يمكنهُ ان ينشئ شيئًا من الأحياء في الماء مهما طال زمانهُ. ومن ثمَّ قد ختم باستور قولهُ بما نصُّهُ: «لا صحَّة لما قالهُ الاقدمون عن التولُّد الذاتي (génération spontanée) وانَّما قولهم ضغث واحلام تردُّهُ الاختبارات العديدة التي باشرتها مدَّة ٢٠ سنة» حرَّر باستور هذه الالفاظ المسجديَّة في ١٦ تموز سنة ١٨٧٨

٤. هيئات الميكروب وكيفيَّة نموّهِ وانتشاره

لا يسعنا المقام ان نفرد لكل ميكروب فصلًا خصوصيًّا. فاكتفينا ان نجمع في هذا الباب الصفات العموميَّة التي تبيّن اجناسهُ. ومرجع هذه الاجناس الى ثلاثة

اشكال . اولها الشكل الكروي (sphérique) لشبه جراثيمه بالكُرَي . والثاني العصويّ الشكل فيكون كالعُصَيَّات (bâtonnets) . والثالث اشبه بالخيوط (filamenteux)

ويلحق بكل جنس اشكال ثانوية فالكروي مثلًا يقرب منهُ البيضوي الشكل (ovalaire) . ومن العصويّ ما كان متربًا والخيطي ربما كان لولبي الشكل . وهذه الهيئات تختلف باختلاف المكان وموقع جراثيمه . وربما كان الميكروب الواحد كرويًا في منبت جامد وخيطيًا في منبت مائع مثالهُ دماميل الفم (muguet) في الاحداث . فلا يدلُّ اذن تغيُّر شكل الميكروب على اختلاف الجنس

ومن غرائب الامور ان العلماء وجدوا انواع الميكروب في طبقات الارض المعروفة بالثانوية وهي باقية على شكلها وحجمها مع ما كرَّ عليها من الأيام والدهور وكفى لعمري بذلك برهانًا قاطعًا برغم معاطس اصحاب دروين والمتنصرين لآرائهِ في الارتقاء .

ومن يُنعِم النظر في تركيب الميكروب يجدهُ مركبًا من خليَّة (cellule) تحتوي على نواة (nucleus) ومادة حيَّة يصونها غلاف شفَّاف . فهذه المادة الحيَّة لا بدَّ لها ان تتمم كل وظائف الحيّ من اغتذاء وتنفُّس وافراز موادّ سامَّة . والبعض من هذه الميكروبات تتحرَّك كباشلوس الحمَّى التيفوئيدية وسبب حركتهِ خيوطٌ نابتة في جسمهِ . ومنهُ ما لا يتحرَّك مطلقًا . وبعضها لا يعيش بلا هواء وغيرها بعكس ذلك . يسبب لها الهواء موتًا وحيًا . ومنها ما سواءٌ عندهُ ان عاش في الهواء او دونهُ

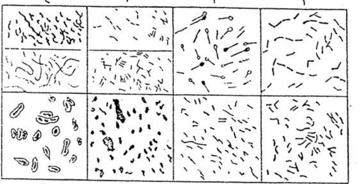
ويغتذي الميكروب بامتصاص الماء والمواد الازوتية واملاح النوشادر . واول من احكم وصف اغتذاء الميكروب العلامة باستور والدكتور رولين (Rollin) فربَّاهُ في منابت مختلفة ضمَّنوها السكّر والموادّ الازوتية

ومما لحظاهُ بالاختبار انَّ الميكروب اذا اختلط في موادّ لم يستطع تحويلها الى جسمهِ افرز شيئًا من الخمير يصلحها للامتصاص فيغتذي بها . مثال ذلك انهُ يحوّل المواد النشائيَّة الى سكَّرية وفي فم الانسان السالم المزاج ١٨ جنسًا من الميكروب دأبها افراز مادة لعابيَّة (ptyaline) غايتها تحويل النشا الى سكَّر

ومن المعلوم انَّ الجسم اذا اغتذى افرز موادّ بعضها يصلح لهُ وبعضها يضرُّ بهِ اذا لم تُبعد عنهُ . ولذا ترى منابت الميكروب يومًا زاهرةً نامية ويومًا محيلة ضنية . وهذه

الفضول التي يفرزها الميكروب ليست كلها مضرَّة بالانسان بل منها ما هو نافع ومنها ما لا غنى عنهُ لحياتهِ

١ ٢ ٣ ٤



٥ ٦ ٧ ٨

١ ميكروب الجمرة ٢ « الكزاز ٣ « التدرُّن ٤ « الحمى الصفراء (الهواء الاصفر)
٥ « الخُناق ٦ عُصيَّات التيفوس ٧ ميكروب الطاعون ٨ « ذات الرئة

والضرر الذي ينتج من الميكروب لا ينشأ دائمًا من مجرَّد دخولهِ في الجسم بل من الافرازات السامَّة التي تحصل منهُ. ولذلك ترى غالبًا في الحلق باشلُوس الخناق. وفي الجروح باشلوس الكزاز (tétanos) دون ان ينجم عنهما ضرر

امَّا نمو الميكروب فغريب يذهل العقول ويحيّر الالباب ويتجاوز كلَّ حساب وذلك بمدَّة قليلة من الزمان. وينمو بعضهُ بالتبذير (sporulation) وبعضهُ بالتجزي والانقسام فتصير الحويصلة الى قسمين ثم تنقسم الى اربعة. وهلمَّ جرًّا

امَّا الموادُّ التي تدفع مضارَّ الميكروب وتقوى عليهِ فهي اولًا كل السموم التي تمنع العفونة (antiseptique) كمحلول السليماني والحامض الفينيكي الخ. ومن هذه السموم ما يردُّ غارات احد الميكروبات دون غيره

ومن اجود المطهّرات الطبيعيَّة التي تتلف الجراثيم الضارَّة الهواء والشمس. وقد مرَّ بك ان بعض الميكروب لا يعيش بالهواء كما انَّ الهواء بحركتهِ المتداومة وتجدُّدهِ يحمل هذه الآليَّات ويرميها بالبحر او يصعد بها الى اعالي الجوّ فيتبدَّد شملها ويزول ضررها.

امَّا الشمس فهي الدُّ اعداء الميكروب وهي تميتهُ بحرارتها ولذلك وجب دائمًا فتح الغرف لاسيَّما مقامات المرضى لتنفذ فيها اشعة الشمس ويتجدَّد هواؤها . الَّا في بعض الاحوال لاسباب صوابيَّة يحكم بها الطبيب

وفي الختام نقول ان الميكروبات تمَّ عالمنا باجمعهِ لا يخلو منها الهواء ولا الماء ولا الارض بل ان اجسامنا نفسها داخلها وخارجها كمعمل كبير لهذه الجراثيم منها مأكلنا ومشربنا تُحدق بنا حيثما سرنا وأنَّى توجَّهنا . ولكن فليطمئنَّ بالنا وليسكنَّ روعنا لانهُ ليس كلُّ ميكروب بعدوّ فاتك مسبّب للامراض والاسقام فمنهُ ما هو جزيل النفع لا تقوم عيشتنا بدونهِ . ومنهُ ما لا ينفع ولا يضرّ . امَّا ما كان ضارًّا فلا بأس منهُ ما دمنا نراعي قوانين الصحَّة ونتجنَّب العدوى واسبابها ونقتصر في اكلنا وشربنا وشغلنا وسهرنا مع ترويض الجسم باعتدال واستنشاق الهواء النقيّ والسكنى في منازل نظيفة يدخلها الهواء والنور الى غير ذلك من الوسائط المحمودة التي يصفها الاطبَّاء بالمجلات العلميَّة والنشرات الطبيَّة فنسير الطريق المثلى بين المتطرّفين الذين ينكرون وجود الميكروب فلا يبالون بهِ على الاطلاق والذين لا يكادون يتحرَّكون خوفًا منهُ فيرون الميكروب في كلّ مكان ( حتى في الماء المصلَّاة ) فيقلقون لذلك ويحتارون في امرهم . فخير الامور اوساطها وعلى الله الاتكال في البدء والمآل

---

# خواطر في النيل وفيضانهِ

بقلم الاب الياس جاره اليسوعي

لعمري ايّ عين لا تتدفَّق بهجة ونورًا وايّ جنان لا يهتزّ مسرَّةً وحبورًا لدى منظر ليس لهُ في الغبراء ندّ ولو اخترقتَ هضابها وبطاحها وجبتَ مشارقها ومغاربها ألا وهو فيض النيل الميمون فيضٌ يكسب المزارع ريًّا وخصبًا ويُكسيها قاصيها ودانيها حلةً تعاظمت شأنًا وحسنًا . فسرْ بنا يا صاحِ حيث اقامت الافراح منابرها وبسطت للنفس مشهدًا يُقرّ نواظرها

ألا ترى ذات اليمين وذات الشمال اذا يمَّمتَ ربوع مصر ولاسيَّما العليا سهولًا

فسيحة الارجاء. تتدفَّق فيها عيون النيل وترسو على وجهها اشهرًا بمحدودة وترى فوق هذه السهول أكواخ الزارعين تطفو كجُزُر منبثة على سطح النيل وقد ضفر لها النخيل من سعوفهِ اكاليلًا ناضرًا واناط في جيدها من درر اثمارهِ عقدًا باهرًا. فكأني واشجار النخل خرائد راحت تميس بقدها زهوًا. وعلت رأس المياه فداستهُ باخمصها كبرًا. تجلت متبرّجة بجلى بهجتها. متجلببة بسندس خضرتها. ناشرةً اعذاقها كبنود اليمن والفلاح. مبشرةً بقدوم رائد الاقبال والنجاح. وهناك ترى قمم ابنية بل سدودًا ثابتة الاركان تعاني صدمات الغمر فتكبح جماحهُ دافعةً عنها وعن اربابها سطوات الخراب وكرّات النوائب ذاخرةً في احشائها ما ادرَّ عليها النيل من أخلاف الرزق ضامنةً لاهلها نصيبهم من رفدهِ وهباتهِ

هذا اذا كان الفيض وافيًا بالمراد والَّا فهناك الطامَّة الكبرى: فإمَّا محلٌ يرفع على المنابت راية الدمار واما سيلٌ عرمرم يفلُّ شباة السدود ويجرفها في تيَّارهِ كقصبات وهنةٍ ويزجُّها وما احاط بها من المباني في وهدة تذبل فيها بعد ايناعها اثار الآمال. فيفدح الشر ويستشري الوبال . . .

بيد أنهُ اذا اتاح لك المولى فشاهدت تلك الانحاء المنشاة بالغمر اصيلَ يوم ركدتْ فيهِ ثورة الارياح وتسربلت السماء بسربال صفاها واخمدت الصبا جذوة القيظ بعذب نفحاتها ألفيتَ قيد البصر سهلًا دبجتهُ بنان الشمس بالوان عسجديَّة ورصَّعت صدرهُ بمحاسن باهرة بهيَّة. وحينًا بعد حين يمرُّ النسيم وهو حامل في اكنافهِ نسمات الحدائق الأرجة فتهتزُّ لورودهِ صفحات النيل جذلًا وتنثر في مسيرهِ قُطيرات تتلاعب بها اشعَّة الشمس المنعكسة فتتلألأ عقودًا تنفرط دراريها وقد سبَتِ العين وخلبت اللبَّ بجمالها الرائع بينا يُسمع لاوراق النخيل حفيف رخيم كانها تتبارى والطير المغرّدة على فنن الاراك والصبا المعطّرة الارجاء في استمالة النفوس الى التأمل بحكمة مُبدع الكائنات والى اسداء الثناء الجميل لما اسبغ على مصرنا من الآلاء الضافية الاذيال

ذلك مشهدٌ تبدو اسرَّتهُ رويدًا رويدًا الى ان يبلغ رونقهُ حدَّ الكمال ثمَّ يأخذ في النقصان والمُحاق فيغادر سماء مصر وقد تبلّجت بعدهُ تباشير الاماني المستطابة

فالنيل في فيضانهِ يلوح لي كابٍ حنون قيَّض لهُ الدهر كل سنة ركوب غارب النوى فشطَّ عن فلذة اكبادهِ وقد اودعهم ثروتهُ بل مهجة فؤادهِ كيلا يلمَّ بهم ضنك ولا

يمسهم عناء. فلا تأخذهم في ولائهِ سِنة ولا في حبّهِ فترة. كيف لا وقد عهدنا النيل منذ امدٍ مديد يحنُّ الى مصرنا حنين الاب الى اولادهِ فيطأها ويألفها زمناً وبعد اجل مضروب ينسحب عنها وقد كثر فيها كنوز الخيرات واولاها اسنى الصلات

فأعجب بمنظر لم ترَ لهُ العين مثلاً على وجه البسيطة. ولا جرم انهُ لفي مسير النيل الى مزدرعاتنا وحلولهِ فيها ضيفاً كريماً وانجلائهِ عنها ما يقضي بالعجب العجاب. وانَّى لنا ان نقابلهُ مع غيرهِ وقد تحلَّى بمحاسن فريدة نظمتهُ في عداد الكائنات التي اظهرت العناية في ابداعها عظم قدرتها وسطعت فيهِ عجائب حكمتها

ولقائل يقول: لفي الديار الاوربيَّة في سويسرا مثلاً واميركا ما يأخذ بمجامع الفؤاد من انهرٍ تتسلسل جداولها وبحيرات تروق مشاهدها. أجل ولكن شتَّان ما بينها وبين ما حواهُ نيلنا من عجيب الاثر الذي جعلهُ بمعزلٍ عمَّا سواهُ في البسيطة اين لتلك الديار مثل هذه السهول الخصيبة المشتملة على اغرب وابدع ما فطرهُ البارئ اين لها تلك السهول التي تظهر بمظهر الجزر عند تعاظم النيل وفيضانهِ لما تكتنفهُ من البيوت والمساكن ثمَّ تستحيل بعد اشهر معهودة ربوعاً منتزَّة الثغر انتصبت فيها تتابعاً كلَّ عام سوق نبات القطن وقصب السكر والذرة مبشرة مواسمها الثلاثة بتوفر البركات. بل اين ترى كما قال عمرو بن العاص في وصف مصر «تلك الدرَّة التي تظهر بادئ بدء بيضاء ثمَّ تصبح عنبرة سوداء فزبرجدة خضراء...». هذا وناهيك عن مزايا أُخر ليس من شأني الآن تعدادها خصَّها بها المولى دون سواها

واما ما يترتب على هذا الفيضان من اسباب النجاح المادّي فهو ظاهر العيان وقد اسهبت في وصفهِ الاقلام وسار مسير المثل في سائر الامصار. وحسبنا هنا القول بأنهُ للفلاَّح امل قوتهِ وباب رزقهِ وللمثري ينبوع خير تفيض بهِ ثروتهُ وتنمو سنةً بعد سنة ولمصر عامَّةً معدن حياتها لولاهُ لضرب الإملاق والاعسار على كثير من ابنائها اطنابهُ وجرَّعهم غصصهُ ونوائبهُ لولاهُ لقلَّت موادّ الرزق وكسدت اسواق التجارة ولم تبلغ مصر ما بلغتهُ اليوم من التقدم والفلاح ان ادبيًا وان ماديًا. ولله درُّ ابن خروفٍ حيث قال في منافع النيل:

ما اعجب النيل ما ابهى شمائلهُ ... في ضفتيهِ من الاشجار ادواحُ
من جنَّة الخُلد فيَّاضٌ على تُرَعٍ ... تهبُّ فيها هبوب الريح ارواحُ

ليست زيارتهُ ماء كما زعموا وانما هي ارزاقٌ وارباحُ

وكان المؤرخ هيرودوت سبقهُ فقال قبلهُ باجيال عديدة: «انَّ مصر لهيَ هديَّة النيل». وقد بالغ اجدادنا في اطرائهِ واكرامهِ حتى انهم ذهبوا انَّهُ نهر سماويّ الاصل بل انهم عبدوهُ كالهٍ... جلَّ ربُّنا من لا ربَّ لنا سواهُ. واقرَّ عيون المصريين بنيلهم ونماهُ. ما برح النيل غرَّة الانهار. وظلَّت مصر بهِ فريدة الامصار

# مطبوعات شرقية جديدة

## دائرة المعارف (الجزء الحادي عشر)

تأليف الادباء الافاضل سليمان ونجيب ونسيب البستاني. مطبعة الهلال ١٩٠٠. (ص ٧٥٢)

يسرُّنا ان نرى هذا التأليف المظيم بعد انحجابه مدة طويلة عائدًا الى عالم الاداب .واصلًا لما جاء في المجلدات السابقة من الفوائد الجليلة بحيث يمكننا ان نتوقَّع عمَّا قريب نجازهُ تامًا. والجزء الذي نحن اليوم في صددهِ هو الحادي عشر يتضمَّن تتمَّة حرف الصاد مع الحروف التالية الى مادَّة «عثمانيَّة»

ولا تريد القرَّاء علمًا اذا قلنا عنهُ انهُ كأخوتهِ السابقين حافل بالمباحث متنوع المقالات سهل المأخذ يدوّن اجمالًا خلاصة ما بلغهُ العلماء واكتشفهُ ارباب المعارف. ومن المواد التي استحسنَّاها المقالات الآتية: الصليبيَّة. الصين. الطاعون. الطباعة. الطب. الطريق والطُرُق الحديديَّة. الطوفان. الطيف الشمسي. العباسيَّة. الدولة العثمانيَّة. الى غير ذلك من الابحاث الشاملة

هذا ومع اقرارنا بمنافع هذا الكتاب العميمة رأينا ان نشير الى بعض ما لاح لنا فيهِ من الخَلل فنعرضهُ لمؤلفيهِ الفضلاء. علَّهم يجدون في ملاحظاتنا موضعًا للاصلاح

اولًا نثني على مصنّفي هذا الجزء لاعتدالهم في مسائل كثيرة تمسّ الدين واهلهُ فعرضوها دون تطرُّف مجرَّدين عن الهوى. لكنَّ الاعتدال في الرأي في بعض هذه المسائل ليس بكافٍ للكاثوليكي ان لم يبيّن وجه الصواب ويؤيّد الحقيقة بالبرهان. مثال ذلك باب

« الطلاق » فكان ينبغي لاصحاب الدائرة ان يزيدوا السبب الذي لاجلهِ لا ترضى الكنيسة بالطلاق وانها تستند في تعليمها الى قول الانجيل كما انها بنفيها الطلاق خلصت النصرانيّة من شرور لا تحصى. وكذلك مادّة « الصليبيّة » مع اعتدالها لم تنطبق كلها مع حقيقة الواقع

ثانيًا كنَّا وددنا لو تحايد المؤلفون الخوض في بعض المسائل التي لم يقفوا على كُنه حقيقتها كقولهم (ص١٦٦) عن قتل الطاغية وهو قول من شأنهِ ان يثير الاهواء ويبعث على نبذ السلطة الشرعيَّة. وكذلك لم يحسنوا بنسبتهم الى الكنيسة الكاثوليكيَّة (ص ٢٦٠) آراء بعض ابنائها في تاريخ الطوفان وامتدادهُ فوق الارض كلها. فانَّ الكنيسة حتى الآن لم تُبدِ رأيًا في ذلك وتسمح لعلمائها ان يدافعوا عن آرائهم الخاصة التي لا ينفيها نصّ الكتاب نفيًا صريحًا. وكذلك لا نرى تحديدهم للطبيعة الالهيَّة واضحًا فلم يبيّنوا الفرق بين الطبيعة والاقنوم. امَّا قولهم عن طبيعتي المسيح في اقنومهِ الواحد « انَّ تلك مسألة كان لها شأن عظيم في القرون الاولى » يؤخذ منهُ ان المسألة ليس لها اليوم اعتبار كبير مع انَّ كلّ سرّ التجسُّد مبنيٌّ عليها

ثالثًا لم يتَّسع اصحاب الدائرة في الموادّ الشرقيَّة اتساعهم في غيرها مع انَّ هذه تهمُّنا نحن الشرقيين اكثر من سواها. فترى مثلًا اوصاف بعض مدن الشرق قليلة الجدوى لا تفي بالمرام كالمقالة عن مدينة « صور » التي لم يستغرق وصفها وتاريخها غير عمود واحد — وفي بعض هذه الاوصاف قد اكتفى المؤلفون بنقل ما كتبهُ ياقوت دون ان يفيدونا شيئًا عن احوال المدن الحاليَّة. مثال ذلك ما كتبوهُ عن الصِّنف والصَّوران. وربَّما نقلوا ما دوَّنهُ العرب على علاتهِ دون ان يعملوا فيهِ نظر الانتقاد كالمقالة عن صنعاء وصُهيب — وقد اخذنا العجب من سهو المؤلفين عن ذكر بعض الموادّ كالطقوس وغير ذلك. كما انَّهُ كان يمكنهم ان ينتفعوا في مادَّة « الصُّلبة » من مقالة ضافية الذيل كتبها حضرة الاب انستاس في المشرق عن هذه الطائفة

رابعًا ان في طريق نقل الالفاظ الى اللغات الاوربيَّة خللًا فانَّ كلّ لفظة تُكتب كتابة مختلفة مع وجود الحروف العربيَّة عينها. فترى مثلًا « الصايق والصليحي وصوعر » منقولة على هذه الصورة Ssalik, Solaīhy, Zoar وكذا قُل عن نقل حرفَي الظاء والعين

خامساً ان تراجم بعض المشاهير لم توضع في مكانها. فان المؤلفين لا قاعدة لهم ثابتة في ذلك فتارةً يدوّنون التراجم في اسماء اصحابها وتارةً في كناياتهم واحياناً في القابهم. وكان الاحرى ان يتبعوا بذلك طريقة لا يحيدون عنها. وعندنا انهُ لا يخطر على بال احد ان يطلب ترجمة في لقب « ظهير الدين » او « ضياء الدين » اللهم الّا نادراً.
هذا ما بدا مع تكرار الثناء على اصحاب الدائرة فنتمنّى لتأليفهم كل رواج ل. ش

## شذرات

الجزويت يشرّفنا اعداء الدين المدّة بعد المدّة بتصانيف يجمعون فيها ما امكنهم من الاراجيف والتلفيقات رجاء ان يشنّعوا على رهبانيّتنا وهم لا يدرون انهم يزيدونا بذلك فخراً. ومن جملة هذه الاكاذيب كرّاسة أشاعها بعض اصحاب الغايات نسبوا الينا فيها كلّ اصناف الفظائع والآثام. ولعلم مؤلفي هذه النبذة بكذبهم لم يتجاسروا ان يصدّروها باسمهم الشريف بل زعموا انّها طُبعت في الاسكندريّة مع انها لم تطبع فيها. ومنها كان من أمر اصحابها اننا نكذّب ما سُطّر في هذه الكرّاسة الّا بعض اشياء أرادوا منها القدح ونعدّها نحن احسن مدح كقولهم انّ رهبانيّتنا تدافع عن البابويّة وانّنا ننشر التعبد للعذراء الطاهرة ونقول بحبلها النقيّ من دنس الخطيئة الاصليّة وانّنا نزيّن كنائسنا ونكرّر في مواعظنا ذكر عواقب الانسان لاسيما الدينونة والجحيم. فأيم الله ان كانت هذه الامور من الجنايات والآثام فنحن اوّل من يقرّ بقبائحنا وأوزارنا. امّا انّ اليسوعيين يعلمون السرقة ويبيحون الحرام ويخدعون السذّج وما اشبه ذلك فهيهات ان يستطيع احدٌ ان يثبتها بحجّة وكذبها اوضح من الشمس. ولو اردنا المدافعة عن جمعيّتنا لاكتفينا بشهادات اعدائنا انفسهم

هدية فاخرة اهدى امير الافغان جلالة شاه العجم مصحفاً مخطوطاً على رق غزال بخط قديم وموشّى بالذهب واصناف النقوش العربيّة. ثمّ انفق على تجليده نيّفاً وخمسين الف فرنك وجلداهُ صفيحتان من الذهب الابريز سمكهما ١٠٠٠/٢ تمثّل ضروباً من التصاوير والرموز كالنجوم والاهلّة الى غير ذلك وهما مرصّعتان بشتي حجر كريم من الماس والياقوت واللؤلؤ وجُعل المصحف في قمطر من الفضة طولهُ

٢٥ سنتيمترًا في عرض عشرة سنتيمترات ونصف: وهو اليوم مصون في جامع مدينة اسنان رضا

**سكّة حديديّة بالكهرباء** دُعي القرن التاسع عشر بقرن البخار ولعلّ القرن العشرين يدعى قرن الكهرباء. كانت برلين في سنة ١٨٨٤ جهّزت اوّل ترامواي بالكهرباء واليوم تسمى بتمديد اول سكّة حديديّة بينها وبين همبورغ والمسافة بينهما ٢٥٠ كيلومترًا وهذه السكّة جُعلت ستّة امتار فوق المدينة على سوارٍ متينة. وسيكون سلكان للذهاب وسلكان للاياب وهي ستقطع في الساعة ٢٥٠ كيلومترًا وقد اتُخذت كل الوسائط لتلافي الحوادث المفجعة من جملتها انهُ يمكن توقيف القطارات بسرعة البرق. امّا نفقات هـذا المشروع العظيم فقدّرها المهندسون بمئة واربعين مليونًا من الفرنكات

# أسئلة وأجوبة

س سأل جناب الاديب ديب زيادة هل طُبع كتاب مستطف المستطرف للابشيهي غير الطبعة المصريّة

مستطف المستطرف

ج طُبع هذا الكتاب مرارًا في مصر ولا نعرف لهُ غير الطبعات المصريّة. الّا انّ احد المستشرقين الفرنسويين يدعى غوستاف رات (G. Rat) نقلهُ الى الفرنسيّة ونشر قسمهُ الاوّل (راجع المشرق ٢:٧٦٥)

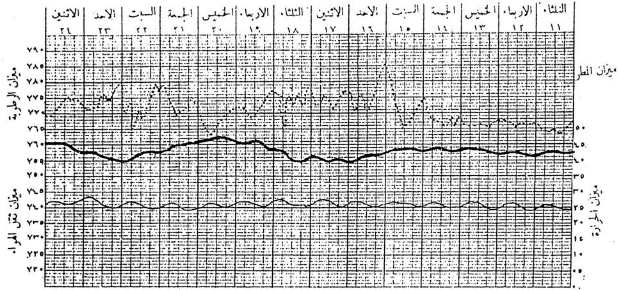
س وسأل حضرة القس نعمة الله الشهابي ما هي البراهين المثبتة كون السيد المسيح سنّ سرّي التثبيت ومسحة المرضى

سرّا التثبيت ومسحة المرضى

ج ليس لهذين السرّين ذكر صريح في الانجيل وانما هما من الاسرار التي علّمها المسيح تلاميذهُ مدّة الاربعين يومًا التي قضاها معهم بعد قيامتهِ وهو يفاوضهم في ملكوت الله اي الكنيسة وما يختصّ باحوالها واسرارها. والدليل على انّ المسيح هو منشئ هذين السرّين انّنا نرى الرسل يذكرونهما ويمارسونهما ويتصرّفون بها لخلاص المؤمنين. كما ترى في كتاب اعمال الرسل (٢: ٣٨ و ٨: ١٢-١٩ و ١٩: ١-٦) ورسالات بولس (٢ قور ١: ٢١ وافس ١: ١٣) وفي كلها اشارات واضحة الى سرّ التثبيت. وكذلك في رسالة يعقوب (٥: ١٤) كلام صريح عن سر مسحة المرضى. فلولا ان الرسل اخذوا ذلك من فم المسيح لما استطاعوا ان يتعاطوا هذين السرّين ويستعينوا بها لخير المؤمنين لان منشئ الاسرار هو المسيح وحدهُ

ل. ش

قائمة للآثار الجوية     من ١١ الى ٢٤ حزيران     ١٩٠١




انَّ الخطَّ الضخم ( ــــ ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتابع ( ــــ ) على ميزان الحرارة ( ترمومتر ) امَّا الخطَّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة ( هغرومتر ) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخر وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات